

مَجَلة شَهرِيَّة اسلاميَّة أَدبيَّة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٧)	شعبان المعظم ١٤٣٦هـ
العدد السادس	يونيو ٢٠١٥ م

المشرف العام **رئيس التحرير**

عبد الله سعود بن عبد الوحيد **أسعد أعظمي بن محمد أنصاري**

☆ عنوان المراسلة:	**صوت الأمة:** بى ١ / ١٨ جى، ريورى تالاب، بنارس، الهند The Editor, Sautul Ummah B-18/1-G, Reori Talab, VARANASI - 221010 (INDIA)
☆ ترسل شيكات الاشتراک بهذا الاسم:	دار التاليف والترجمة Name: **DARUT-TALEEF WAT-TARJAMA** Bank: **ALLAHABAD BANK**, Kamachha, VARANASI A/c No.: **21044906358** IFSC Code: **ALLA0210547**
☆ الاشتراک السنوي:	في الهند (١٥٠) روبية، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخة (١٥) روبية

موقع المجلة على الانترنت: www.sautulummah.org

المنشور لا يعبر إلا عن رأي كاتبه

محتويات العدد

الافتتاحية

وضع اللغة العربية في المؤسسات التعليمية

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

إن الله تعالى خلق الإنسان وعلمه البيان، وجعل له عينين ولسانا وشفتين، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، وكرمه من بين سائر المخلوقات بخصائص عديدة، من أهمها تكريمه بقوة النطق وأهلية المحادثة والتفاهم مع بني جنسه ،وقد من الله عليه بأن وسع له بتعديد اللغات والألسن التي يختار منها مايشاء لنطقه ومحادثته؛ فقد قال عز من قائل:

{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ - سورة الروم: ٢٢}

فاختلاف اللغات وتعدد الألسن آية من آيات الله، ومظهر من مظاهر قدرة الله، وعلامة من علامات التيسير والتخفيف التي وسع الله بها على عباده.

وكلمة "اللغة" – كغيرها من الكلمات والمصطلحات - إذا أطلقت دلت على الفرد الكامل منها، فاللغة بمعناها الشامل هي التي تنطق وتسمع وتقرأ وتكتب، وتستخدم في كافة المجالات الإنسانية من العبادات والمعاملات، والتجارات وفي كل شؤون الحياة اليومية، من غير تخصيص بمجال دون مجال، وبجانب دون جانب. وهي التي يطلق عليها اللغة الحية، بمقابل اللغة نصف الحية، التي يقتصر استخدامها على بعض الأمور دون غيرها. مثل الشعائر التعبدية والتقاليد الدينية.

واللغة العربية إحدى لغات العالم الشهيرة، و"تذكر الإحصائيات المختلفة للتجمعات البشرية في دول العالم نحو ثلاثة آلاف لغة، وتختلف مستويات استخدام هذه اللغات اختلافا بينا، وأكثرها لغات محلية لايمكن أن توصف وفق المعايير العلمية بأنها لغات تعامل أو لغات عالمية، وهناك إحدى عشر لغة يستخدمها أكثر من خمسين مليون نسمة، اللغة العربية في المكان الثامن من بين لغات العالم الكبرى باعتبار عدد

أبنائها، وذلك بعد اللغات: الصينية، والانجليزية، والهندية - الأردية، والإسبانية، والروسية، والبنغالية، والبرتغالية ... وهي لغة نحو (١٤٠) مليونا من بين أبناء دول الجامعة العربية البالغ عددهم نحو (١٦٠) مليونا." [1]

وقد اكتسبت اللغة العربية مكانة دينية عظيمة بعد نزول القرآن الكريم بها. فلم تبق لغة العرب فحسب، وإنما أضحت لغة المسلمين في العالم. فهي في الوقت الحاضر وإن كانت لغة (١٤٠) مليونا من سكان البلاد العربية من الناحية القومية، ولكنها لغة مليار وربع مليار مسلم من سكان مختلف مناطق العالم من الناحية الدينية. الأمر الذي أكسبها مكانة تفقدها كل لغات العالم، ولن تبلغ لغة أخرى مكانتها بإذن الله إلى قيام الساعة.

واللغة العربية – كغيرها من اللغات - تواجه مشكلات وتحديات في العصر الراهن، كما واجهت المشكلات والتحديات فيما مضى من الزمن، وقد بقيت صامدة تقابل كل هذه التحديات بصدرها الرحب، وبوجهها الطلق، وتجاوزت كل المؤامرات التي حيكت للقضاء عليها أو للنيل من مكانتها ورفعتها. لأن الله تكفل بحفظها وصيانتها لما قد تكفل بحفظ القرآن الكريم ، فتحفظ بحفظه وتصان بصيانته. والله على مايشاء قدير.

ولأسباب مختلفة أمست اللغة العربية حبيسة الكتاب وقاعة الدرس، بحيث لاتجدها في وضعها الحقيقي وصورتها الكاملة إلا في هذين الموضعين، أما في خارج هذين الموضعين - سواء كان في العالم العربي أم في العالم الإسلامي - فهي في حالة يرثى لها وفي وضع يدعو إلى النظر والتفكر في شأنها لكي تعود إلى سيرتها الأولى.

وفي هذا البحث المتواضع نحاول إلقاء بعض الأضواء على هذا الجانب، فنعرض أولا وضع اللغة العربية في العالم العربي من هذه الناحية، ثم وضعها في خارج العالم العربي من هذه الناحية أيضا. وبعد ذلك نقدم مانراه من الحلول والمخارج من هذه الأزمة.

---

[1] اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين، مقال للدكتور محمود فهمي حجازي، في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (٧٣) الجزء (٣) ربيع الأول ١٤١٩ه ص:٤٨٠- ٤٨١.

ظاهرة مؤسفة للغة العربية في مؤسساتنا التعليمية:

قد تهيأ للغة العربية مالم يتهيأ لغيرها من اللغات من خصائص وميزات، ومن مكانة ومنزلة، كان من مقتضياتها أن تجد هذه اللغة انتشارا واسعا وقبولا عاما واهتماما خاصا، ولكنها غزيت في عقردارها بأيدي أبناءها ومحبيها، فظلت تنحسر دائرتها ليبقى استخدامها كلغة حية في نطاق ضيق في كلا العالمين: العربي والإسلامي.

وضع اللغة العربية في العالم العربي:

فحينما ننظر في أمر اللغة العربية ومكانتها إقليميا ودوليا، ونطلع على أنها تعد إحدى لغات العالم الكبرى، فهي لغة عالمية وهي لغة (١٤٠) مليونا من سكان العالم، نشعر بارتياح واعتزاز، ونستبشر بوضعها، ونفتخر بمكانتها، ونرجو لها مستقبلا زاهرا، وحق لنا ذلك. ولكن .. وحتى لانخدع أنفسنا لابد من النظر في الأمر بمنظار أوسع وبشمولية أكثر، وبعمق أزيد، لنكون أوفياء بحق هذه اللغة الحبيبة المحببة، فهناك جوانب عديدة تتعلق بهذه اللغة تستحق النظر والتفكير، وتدعو إلى اليقظة والحذر، منها انحسار هذه اللغة - السليمة والفصيحة - إلى جدران المساجد والمؤسسات التعليمية المحدودة، وشيوع العامية والمزدوجة والأجنبية في الحياة العامة والإعلام والسياحة والاقتصاد وفي كثير من الأقسام التعليمية...الخ على حساب اللغة العربية السليمة الفصيحة، الأمر الذي حدا بالغيارى عليها لإبداء مخاوفهم وتحفظاتهم، ولإطلاق مناداتهم بالانتباه واتخاذ اللازم، قبل أن يستفحل الأمر ويغلب الشر ويفوت الأوان.

يقول الدكتور مسعود بوبو عضو مجمع اللغة العربية بدمشق وهو يتحدث حول أسباب الضعف في الأداء اللغوي على الصعيد العربي والمؤثرات العامة البارزة فيه:

"وبعض الأقطار ازدحم بالدخلاء الأجانب، فكان تنوعهم وكثرتهم عاملا مؤثرا في الحد من حيوية العربية ومن سعة شيوعها حتى بدا الأمر وكأن لغة الحياة اليومية لغير العربية، وبات التفكير بأن فصحاها ستكون حبيسة المساجد كما آل الأمر باللاتينية من قبل حين صارت حبيسة الكنيسة، إن لم يسارع الغيارى عليها إلى تدارك الخلل، وبعض الأقطار شغل بمنجزات الحضارة والعلم، لا بالعلم، فلها عن العربية،

واستمرأ الاستمتاع بمظاهر الحياة الاستهلاكية وبلغتها ومسمياتها، فأغفل الكتاب والهم اللغوي كلية، واستعاض عن ذلك بوسائل ترفيهية وفرت له الراحة وسرعة الأداء في معزل عن التحصيل العلمي وإعمال الفكر، كأنه أريد للعربي أن يكون سوقا لتصريف السلع التي تنتزعه من سقيا العلم والتراث."

ويواصل فيقول:

"في هذا المضطرب زاحم العربية الدخيل واللهجات الهجينة والتعدد اللغوي فوق ماتعانيه من ازدواج لغوي وجهل وأمية أحيانا، فخفت جهارة صوتها القديم." [1]

ويقول الدكتور رشدي طعيمة:

"يعيش المجتمع العربي عامة ازدواجية لغوية diglosia تخلق من مشكلات الاتصال مايتأبى علينا علاجه. إن الطالب العربي يتعلم في المدرسة لغة ويمارس في حياته أخرى...ففي المشرق العربي تتمكن العامية من الطفل قبل دخوله المدرسة، ويتواصل تأثيرها عليه عند مايلتحق بها، وفي المغرب العربي تتداخل اللغات فلاتدري إن كانت أخطاء الطالب في استخدام العربية راجعة إلى عدم مراعاته قوانينها أو إلى تأثير الفرنسية عليه مثلا....هذا فضلا عن الازدواجية التي تخلقها ظاهرة استقدام الأجانب في دول الخليج خاصة، مما يلجئ إلى التخاطب معهم باللغة الإنجليزية غالبا لتيسير التفاهم معهم..." [2].

وقد ذكر الدكتور رشدي عدة أسباب اجتماعية وحضارية لمشكلة تعليم اللغة العربية، منها:

- "هناك إسراف ثقافي في مسايرة الأجانب المشتغلين بالوطن العربي والتبرع بمخاطبتهم بلغاتهم، ولو حصل الاعتزاز المطلوب بلغتنا العربية أمام كل أجنبي لتغير الوضع أمامه.

---

[1] مشكلة الأداء في اللغة العربية: أسباب الضعف ووسائل العلاج. مقال للدكتور مسعود بوبو، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق: المجلد (٧٣) الجزء (٣) ربيع الأول ١٤١٩ه ص: ٥٦٣- ٥٦٤.

[2] المرجع في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، للدكتور رشدي أحمد طعيمة. مطابع جامعة أم القرى: الجزء الأول، القسم الأول، ص:١٧.

- ما تبنيه الفصحى في خمس ساعات في المدرسة يوميا تقوضه العامية باقي ساعات النهار. "[1]

ولا يخفي دور اللغات الأجنبية في تنحية اللغة العربية أو التقليل من شأنها واستخدامها، تلك اللغات التي دخل بها الاستعمار في البلدان العربية والإسلامية، وقام على نشرها بل وعلى فرضها على أبناء البلدان المستعمرة، وذلك لايكون إلا على حساب لغاتهم القومية، وفي رأسها اللغة العربية. وبعد رحيل الاستعمار بجسده يعمل روحه وفكره في تنفيذ مخططاته القريبة المدى والبعيدة المدى، ويحصد ثماره اليوم كما حصد بالأمس، بل:

"نكاد نجزم بأن مزاحمة اللغات الأجنبية للغة العربية لم تكن في يوم من الأيام بأشرس منها في هذه الأيام، وربما ازدادت شراسة في المستقبل، ولقد بدا ذلك منذ وقت مبكر من قبل اللغات صاحبة السيطرة والنفوذ التي تحمل معها العلم والفكر إلى جانب الاقتصاد وفرص العمل. ولم تعد اللغة الأجنبية تطل من خلال الشاشات أو تأتي عبر إشارات ورموز مسجلة على ألواح إلكترونية، بل أخذت تطرد اللغة العربية عمليا من كثير من المواقع. فقد استحالت الإنجليزية لغة للاقتصاد والعلم والطب، ولغة للسياحة، والإعلام. ويكفي أن تخالط المختصين ممن يشتغلون في هذه الحقول حتى تتأكد مما نقول. ويكفي أن تدخل فندقا، أو موقعا سياحيا في البلاد العربية حتى تسمع اللغة الأجنبية تجلجل بين جنباته، لا بين الوافدين من الأجانب، وإنما بين العاملين فيه من العرب؛ فتعجب إذ تراهم يتفاهمون فيما بينهم بتعبيرات إنجليزية أو فرنسية، أو يخلطون عربيتهم ببعض مصطلحاتهما، وإن كانت هذه المصطلحات متوافرة في لغتهم، وعلى أطراف أسلات ألسنتهم." [2]

(يتبع)

❖❖❖

---

[1] المرجع نفسه، ص:٢٣.

[2] المصطلح العربي في عصر العولمة. مقال للدكتور أحمد بن محمد الضبيب. مجلة اللغة العربية بدمشق: المجلد (٧٣) الجزء (٣) ربيع الأول ١٤١٩ه. ص:٦٩٠.

التوجيه الإسلامي

أعمال تُدني من الجنة وتُباعد من النار

(٢ – ٢)

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، دلال فور، جاركند

٢٠ – وتدخل الجنة امرأة آمت من زوجها، فصبرت على ولدها، ولم تتزوج، فعن عوف بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أنا وامرأة سفعاء الخدين، امرأة آمت من زوجها، فصبرت على ولدها، كهاتين في الجنة". [١]

٢١ – وأن تحب الله ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم، والمراد بـ "حب الله ورسوله" امتثال أمرهما واجتناب نهيهما، والتأدب بالآداب الشرعية، فعن أنس بن مالك قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة؟ قال: وما أعددت لها؟ قال: "حب الله ورسوله"، قال: فإنك مع من أحببت، قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحا أشد من قول النبي صلى الله عليه وسلم: "فإنك مع من أحببت"، قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله، وأبا بكر وعمر، فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم". [٢]

٢٢ – وأن تحسن إلى بناتك، وتنفق عليهن، وتصبر على أذاهن وعلى سائر أمورهن.

من أحسن إلى بناته، وأنفق عليهن، وصبر على أذاهن دخل الجنة، فعن عائشة أنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتهما ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار". [٣]

---

[١] رواه أبوداود في ٤٠، كتاب الأدب ٢٢١.

[٢] رواه مسلم، باب المرء مع من أحب.

[٣] رواه مسلم، باب فضل الإحسان إلى البنات.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو، وضم أصابعه". [١]

الحديث فيه دليل على أن القيام على البنات بالمؤنة والتربية ونحوهما موجب لدخول الجنة.

وإني أرى أن من عادة البعض أن ينظر إلى الإناث بنظر الازدراء والاحتقار، فهو يهمل في مجال الإحسان إليهن، والنفقة عليهن، والوفاء بحقوقهن كما حكى الله عزوجل علينا ذلك بقوله: "وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم".

٢٣ – وأن تزيل الأذى عن الطريق سواء كان الأذى شجرة تؤذي، أو غصن شوك، أو حجرا يعثر به، أو قذرا أو جيفة أو غير ذلك مما يؤذي المارين.

فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق، فقال: والله لأنحين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم، فأدخل الجنة". [٢]

فإماطة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان، سواء كان الأذى حجرا أو شجرا أو عظما، أو غصنا، أو قذرا، أو جيفة أو غير ذلك مما يتأذى به المارون.

ولكني أرى الناس في ذلك مهملين معرضين عنه، يظنون هذا العمل حقيرا صغيرا مغايرا لشأنهم ومروءتهم.

٢٤ – وأن تقصد الصدق، وتعتني به في كل حال، وتحذر من الكذب، فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة كما في الحديث عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة" [٣] الحديث.

فينبغي للمرء المسلم أن يصدق إذا حدث ويحذر من الكذب كل الحذر، فإن الكذب من آيات المنافقين، كما أخبر النبي الأمين صلى الله عليه وسلم: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان". [٤]

---

[١] رواه مسلم، باب فضل الإحسان إلى البنات.

[٢] رواه مسلم، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق.

[٣] رواه مسلم، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله.

[٤] رواه مسلم، عن أبي هريرة، كتاب الإيمان، باب خصال المنافق.

وأرشد الله – جل وعلا – إلى صدق الحديث في كتابه العظيم قائلا: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين". (سورة التوبة: ١١٩)

وأعد الله تعالى للصادقين والصادقات رزقا كريما وأجرا عظيما فقال: "إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات، أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما". (سورة الأحزاب: ٣٥)

فالصدق من الدواعي التي توصل إلى الطريق إلى الجنة، والكذب من الأسباب الموصلة إلى النار.

٢٥ – وأن تَبَرَّ والدَيك، وتحسن إليهما، وتخدمهما، وتنفق عليهما من مالك، وتريحهما ما استطعت، وتقول لهما كلاما طيبا حسنا، وقولا جميلا كريما، وتدعو لهما بالرحمة والخير بعد وفاتهما، وتستغفر لهما. فإن بر الوالدين يسهّل لك طريقا إلى الجنة. فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف، من أدرك أبويه عند الكبر أو كليهما فلم يدخل الجنة". [١]

دلّ الحديث على أن بر الوالدين بالخدمة أو النفقة عليهما سبب لدخول الجنة.

وأرشد الله – جل وعلا – الإنسان إلى بر الوالدين والإحسان إليهما وعدم عقوقهما في كتابه العظيم قائلا: "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا" (سورة بني اسرائيل:٢٣) الآية. وهذا يدل دلالة ظاهرة على أن بر الوالدين من الأسباب الموصلة إلى الجنة.

وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أريد الجهاد في سبيل الله، قال له: أوالداك حي؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد، كما في الحديث عن عبد الله بن عمرو قال: قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: أجاهد، قال: لك أبوان؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد". [٢]

---

[١] رواه مسلم، باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما.

[٢] رواه البخاري، كتاب الأدب، باب لا تجاهد إلا بإذن الأبوين.

وهذا يدل على عظم بر الوالدين، وعلى تعظيم حقوقهما على الأولاد والأبناء. وترى – أخي القاريء – في هذا العصر الذي تعيش فيه أن بعض الناس قد أعرضوا عن بر الوالدين كثيرا، فلا يخدمونهما، ولا يتعهدونهما، ولا ينفقون عليهما من أموالهم شيئا، بل بلغ الأمر إلى أنهم يؤذونهما بالقول أو الفعل، ويسيئون إليهما.

وترى أن الذين يؤذون الوالدين ويسيئون إليهما، ويعقونهما هم من معشر العلماء، الذين هم ورثة الأنبياء، الذين هم يحثون الناس على بر الوالدين عن طريق الخطب والمحاضرات والعظات والدروس، الذين يلقّنونهم ببرهما والإحسان إليهما، ويبينون فضل برهما وعظم ثواب خدمتهما وفضل النفقة عليهما، ويرغبونهم في ذلك أشد ترغيب. ولكن الأسف كل الأسف – ترى – أنهم هم الذين يعقون والديهم، ويؤذونهما، ويغلظون لهما القول، فلا يطعمونهما، ولا يكسونهما إذا احتاجا إلى ذلك ولا يداوونهما إذا مرضا. إذا كان حال العلماء هذا فما ظنك ببال العوام الجهال، الذين ليس لهم علم وبصيرة ومعرفة بالشريعة الإسلامية. وأمثال هؤلاء العلماء وبّخهم الله تعالى وزجرهم قائلا: "يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون" كيف يسيئون الصحبة إليهما، ويعقونهما وهم يعرفون جيدا أن عقوقهما حرام من الكبائر.

٢٦ – وأن تكثر من قول "لا حول ولا قوة إلا بالله" فعن أبي موسى الأشعري قال: أخذ النبي صلى الله عليه وسلم في عقبة، أو قال في ثنية، قال: فلما علا عليها رجل نادى فرفع صوته "لا إله إلا الله، والله أكبر" قال، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته، قال: إنكم لا تدعون أصما ولا غائبا، ثم قال يا أبا موسى، أو يا عبد الله، ألا أدلكم على كلمة من كنز الجنة؟ قلت: بلى، قال: "لا حول ولا قوة إلا بالله". [1]

٢٧ – وأن تقول حين تصبح أو تمسي: "اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أبوء لك بنعمتي، وأبوء لك بذنبي،

[1] رواه البخاري، باب قول لا حول ولا قوة إلا بالله.

فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، أعوذ بك من شر ما صنعت" إذا قال حين يمسي فمات دخل الجنة، أو كان من أهل الجنة، وإذا قال حين يصبح فمات من يومه مثله.[١]

٢٨ – وأن ترحم البهائم، مثلا أنك تجد بهيمة من البهائم كالكلب والهرة ونحوهما عطشان، فتسقيه الماء، فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بينما رجل يمشي وإذا اشتد عليه العطش، فوجد بئرا، فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البرئ فملأ خفه ثم أمسكه بفيه، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له" [٢] الحديث.

٢٩ – ومن الأسباب الموصلة إلى الجنة الحج المبرور [٣]، كما في الحديث عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة". [٤]

٣٠ – وأن تقرأ "قل هو الله أحد" (الإخلاص)، فإن قراءة "الإخلاص" موجب لدخول الجنة كما في الحديث عن أبي هريرة قال: أقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرأ: "قل هو الله أحد، الله الصمد" (الإخلاص)، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وجبت" قلت: ما وجبت؟ قال: الجنة". [٥]

٣١ – وأن تبكي من خشية الله تعالى، وبتّ تحرس في سبيل الله، فعن ابن عباس، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله". [٦]

٣٢ – لا تدخل قدم اغبرت في سبيل الله النار، فعن يزيد بن أبي مريم، قال: لحقني عباية بن رفاعة بن رافع وأنا ماش إلى الجمعة، فقال: أبشر فإن خطاك هذه في

---

[١] رواه البخاري، باب ما يقول إذا أصبح.

[٢] رواه البخاري، باب رحمة الناس والبهائم.

[٣] المراد بالحج المبرور: هو الذي لا يخالطه شيء من المأثم، وقيل: المبرور، المتقبل ويجوز أن يكون المبرور: الصادق الخالص لله تعالى. (شرح مسلم للنووي: ١ / ٦٢)

[٤] رواه ابن ماجه ٣ باب فضل الحج والعمرة (٢٨٨٨) وقال الألباني: صحيح.

[٥] رواه الترمذي ١١ باب ما جاء في سورة الإخلاص (٢٨٩٧) صحيح.

[٦] رواه الترمذي، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله (١٦٣٩) صحيح.

سبيل الله، سمعت أبا عبس يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من اغبرت قدماه في سبيل الله فهما حرام على النار". [١]

٣٣ – ومن الأعمال الموصلة إلى الجنة تقوى الله، وحسن الخلق، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس الجنة: تقوى الله، وحسن الخلق" [٢] الحديث.

٣٤ – ومن الأعمال الموصلة إلى الجنة حفظ اللسان من الغيبة والسب والشتم، واللعن والطعن، والنميمة والهمز واللمز والسخرية، والكذب وشهادة الزور، وغير ذلك من الكلام القبيح والقول البذيء، وحفظ الفرج من الوقوع في الحرام، كما قال الله تعالى عن صفات المؤمنين في كتابه: {والذين هم لفروجهم حافظون، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين} (سورة المؤمنون: ٥، ٦) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من يتوكل لي ما بين لحييه وما بين رجليه أتوكل له بالجنة". [٣]

٣٥ – وأن تبكي على خطيئتك كثيرا، فإن البكاء على الخطيئة موصل إلى الجنة، ومنج من النار كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: "وابك على خطيئتك". [٤]

٣٦ – ومن الأعمال المدنية من الجنة الحياء، كما في الحديث عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة" [٥] الحديث.

فمن كان فيه حياء كان مؤمنا، ومن لم يكن فيه حياء فهو ليس بمؤمن، وإن الجنة لا يدخلها إلا المؤمنون، كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة الكثيرة.

هذا، وهناك أعمال كثيرة تدني من الجنة عدا ما ذكر أعلاه، تركتها مخافة أن يطول بذكرها المقال.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

❖❖❖

---

[١] رواه الترمذي، باب ما جاء في فضل من اغبرت قدماه في سبيل الله (١٦٣٢) صحيح.

[٢] رواه الترمذي (٦٢) باب ما جاء في حسن الخلق (٢٠٠٣) حسن الإسناد.

[٣] رواه الترمذي عن سهل بن سعد (٦٠) باب ما جاء في حفظ اللسان (٢٤٠٨) صحيح.

[٤] رواه الترمذي عن عقبة بن عامر (٦٠) باب ما جاء في حفظ اللسان (٢٤٠٦) وقال الألباني: صحيح.

[٥] رواه الترمذي (٦٥) باب ما جاء في الحياء (٢٠٠٩) صحيح.

الشيخ المحدث محمد عبد الرحمن المباركفوري
حياته وأعماله

الشيخ عبد الكبير عبد القوي المباركفوري
الأستاذ بالجامعة السلفية، بنارس

اسمه ونسبه وموطنه:

هو أبو العلى، محمد عبد الرحمن بن العلامة الحافظ الحاج عبد الرحيم بن الحاج الشيخ بهادر، رحمهم الله.

وكثيرا ما يضاف إلى اسمه "المباركفوري" نسبة إلى "مباركفور" من أعمال "أعظم كره" بولاية "أترابرديش" الهند. [١]

وقال عنه الشيخ عبد الحي الحسني: "الأعظم كرهي"، وهو نسبة إلى "أعظم كره". [٢]

نرى في مقدمة تحفة الأحوذي أن اسمه "محمد عبد الرحمن"، فإضافة "محمد" في المقدمة دون غيرها، وهو الصحيح، لأن المحدث المباركفوري يكتب اسمه دائما بإضافة "محمد"، كما نرى في توقيعاته وختمه.

ومما يعرف من عادات المسلمين في كثير من أنحاء الهند في تسمية الأولاد أنهم يسمون الذكور من أولادهم بالأسامي المركبة من كلمتين، وفي أغلب الأحيان تكون واحدة منهما كلمة "محمد" أو "أحمد"، وذلك للتدليل على شدة حبهم وشغفهم بنبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

---

[١] مقدمة تحفة الأحوذي ٢ / ١٨٩، نزهة الخواطر ٨ / ٢٤٢، مقدمة المقالة الحسنى ٣، حياة المحدث شمس الحق وأعماله ٢٩٥، تراجم علماء حديث هند ٣٢٤، معجم المؤلفين ٥ / ١٦٦.

[٢] نزهة الخواطر ٨ / ٢٤٢.

وأما موطن المحدث المباركفوري رحمه الله فيحلو لي أن أذكر عنه شيئا من التفصيل ليكون القارئ على معرفة من الأحوال والظروف التي فتح المباركفوري فيها عينيه.

إن المناطق التي كانت مراكز إشعاع لحركة إحياء السنة في الهند كان لـ "مباركفور" (موطن المحدث) من بينها نصيب وافر، وذلك أن علماء بارزين نشأوا فيها وقدموا جهودا مباركة في ذلك الصدد.

"إن مباركفور أسسها السيد مبارك شاه مانكفوري (٩٦٥) في عهد حكومة ملك همايون (٩٣٧ – ٩٦٢) على أنقاض "قاسم آباد"، وسميت باسم مؤسسها، واتجه إليها المسلمون وعمروها، حتى اشتهرت بصنعة نسيج الحرير وراج سوقها، وهذه الصنعة جذبت أنظار الناس، فجاؤوا إليها واستوطنوها.

وقد كانت فترة من الزمن قرابة ٨٦ سنة في حوزة الشيعة الذين استقلوا بالحكم في شمال الهند باسم إمارة "أودهـ"، وانقطعوا عن الحكومة المغولية المركزية بدهلي ثم ضمها الإنجليز (في ١٠ / نوفمبر سنة ١٨٠١م = ٢ / رجب ١٢١٦هـ) إلى شركة الهند الشرقية". [1]

لقد مرت مباركفور بمراحل عديدة، وفي كل مرحلة تصبغت بصبغتها الخاصة، وتأثرت بمؤثراتها فقد كانت في البداية تحت إمرة الملوك المغوليين، فكان أهلها من أهل السنة الأحناف بالمعنى العصري (أي المذهب الحنفي الذي كان رائجا في القرن العاشر في الهند ممزوجا بالبدع والخرافات والتصوف المقيت).

ولما جاء أثر التشيع سعى أهله في نشره وجهدوا جهدا كبيرا مع جميع الإغراءات، وبذلوا أموالا طائلة، والنواب آصف الدولة (١١٨٧ – ١٢١٢هـ) يذكر خاصة في تعميم التشيع، وحاكمه على مباركفور نواب حسن رضا خان قد تحول بجهوده آلاف من الأسر إلى مذهب الشيعة وحازوا بإقطاعات كثيرة، والذين أصروا على البقاء على مذهب أهل السنة سلبت منهم أراضيهم وعقارهم، ولم يأت جيلهم

---

[1] تذكره علماء مباركفور ١٤، ٢٠، ٢٢.

الثاني حتى انسل عن مذهبه الحق وصار شيعيا، وهذه الجهود لم تقتصر على مباركفور بل تعدتها إلى ما جاورتها من القرى والمدن، وكثر بناء الخانقاهات (الزوايا) الشيعية ومراكز العزاء والرثاء في هذه الديار، وسرى أثر هذه الغلبة الشيعية في الناس، حتى قام السنيون بأداء تقاليد التشيع وخرافاته وبدعه وصاروا مشرفين على خانقاهاتهم، ولم يزل القبوريون يحتفظون بهذه الخصيصة حتى عصرنا هذا.

وربما بدت صراعات ومجابهات بين الشيعة وأهل السنة في مباركفور، حتى جرّت إلى القتال والدمار، وذلك إثر سب أهل التشيع الخلفاء الثلاثة والصحابة. [١]

وفي العقد الثاني من القرن التاسع عشر راجت معتقدات الفرقة الإسماعيلية البهرية فيها، واختارت بعض الأسر تلك الخزعبلات.

أما الأحناف الذين كانوا في تلك الناحية الشرقية الشمالية في الهند فإنهم كانوا غارقين في البدع والخرافات تبعا لدين ملوكهم وعلمائهم وقادتهم، حتى تسربت إليهم كثير من عادات الهنادك وتقاليد الشيعة، والقبور كانت أكبر جزء في حياتهم في جلب خير ودفع شر. والطرق الصوفية قد أسرتهم، وكانت رائجة فيها.

إن أهالي مباركفور كانوا منخرطين في سلك الطريقة الجشتية، وقد روجها مؤسسها مبارك شاه حيث أقام فيها وبنى مسجدا يعبد الله فيه ويذكره على هذه الطريقة، والذين جاؤوا معه إليها وسكنوا فيها تمسكوا بها. [٢]

في هذه البيئة الحالكة ورد في تلك الناحية أول عالم سلفي وهو الشاه أبو إسحاق لهراوي (١٢٣٤هـ) الذي تتلمذ على الشيخ فاخر الإله آبادي (١١٦٤هـ) تلميذ محمد حياة السندهي (١١٦٣هـ) وأسس مدرسة في قريته "لهره"، فدرس عليه ثلاثة رجال من أهالي مباركفور، وهم حملوا الدعوة السلفية ونشروها في أنحائها وبدأ الناس يتعارفون عليها. [٣]

---

[١] تذكره علماء مباركفور ٣٤ – ٣٥.

[٢] تذكره علماء مباركفور ٣٨.

[٣] تذكره علماء مباركفور ٤٦.

ثم جاء الشيخ عبد الله جهاؤ، وجعل "أَمِلو" (قرية تبعد بميلين عن مباركفور) مركزا لدعوته، ونشر السنة، وعمها في هذا الصقع، وقد أثمرت جهوده.

إن الشيخ عبد الله جهاؤ كان رجلا شديد التمسك بالكتاب والسنة، ولم يكن أن يروعه أحد في ذلك ولم يخف فيه لومة لائم.

ثم أتى تلاميذه فقاموا بمهمته، ونشروا المذهب السلفي في الناس، ومن ناحية أخرى كان هناك رفقاء وتلامذة للشيخين السيد أحمد والشاه إسماعيل رحمهما الله، وهم كانوا من مباركفور وأملو، فهؤلاء جاهدوا معهما الكفار السيخ، ثم عادوا إلى وطنهم وملأوا قلوب الناس بالحرارة والقوة وركزوا في نفوسهم حب التمسك بالسنة.

وكذلك كان لتلميذ الشاه إسماعيل الشيخ سخاوت علي الجونفوري (١٢٦٤هـ) جولات وصولات في تلك الديار الشرقية الهندية، يرشد الناس ويوجههم إلى الدين الصحيح الخالص من شوائب الشرك والبدع والخرافات.

وقد تتلمذ عليه الشيخ حسام الدين المئوي (١٣١٠هـ) وهو الذي استفاد منه الشيخ الحافظ عبد الرحيم المباركفوري وابنه المحدث المباركفوري. [1]

وفي هذه البيئة الهائجة المائجة بالتشيع والبدع والخرافات التي تمدها مدارس وخانقاهات وطرق صوفية وإغراءات مالية ولد المحدث المباركفوري، وقد كان يبدو حينا بعد حين بصيص من النور من الإشراق الجديد المستضيء من الكتاب والسنة، وكانت المحاولات والجهود تبذل لإطفائه، فقام بلواء السنة هؤلاء الغر الميامين، وأناروا الطريق. فمن شاء سلك عليها ومن شاء عمى.

أسرته:

كانت أسرته معروفة بالعلم والطب والصلاح والتقى، فجده الحاج الشيخ بهادر كان من الرجال البارزين في مباركفور. [2]

أما أبوه الحافظ عبد الرحيم المباركفوري (١٣٣٠هـ) فقد كان من مواليد مباركفور، وكان من أشهر العلماء والأطباء فيها، تتلمذ على القاضي إمام

---

[1] تذكره علماء مباركفور ٤٩.

[2] تذكره علماء مباركفور ١٤٥.

الجونفوري، وحفظ عليه القرآن ودرس التجويد وفاق الأقران، حتى قراء وحفاظ مباركفور ونواحيها لا يعتبرون قراء وحفاظا إلا إذا أسمعوه القرآن بعد حفظهم وقرأوا عليه التجويد، وعلى هذا كان كل الحفاظ من مباركفور ونواحيها من تلاميذه.

قرأ النحو والصرف وغيرهما من العلوم على المولوي محمد فيض الله المئوي، والمُلا حسام الدين، ودرس الحديث على الشيخ الجليل القاضي محمد الهاشمي المجهلي شهري، والذي كان من أجلة العلماء المحدثين الورعين المتمسكين بالقرآن والسنة أشد التمسك، فأخذ عنه إجازة المسلسلات بالأولية، وإجازة رواية بلوغ المرام بالمناولة، كما أخذ عنه إجازة رواية إتحاف الأكابر، وكانت هذه الإجازات تعد من ميزاته الخاصة.

وكان أخذ الحافظ عبد الرحيم المباركفوري عن القاضي المجهلي شهري وتتلمذه عليه سببا لما وجد عنده من الحماسة الشديدة للعمل بالقرآن والسنة، والاجتناب عن البدع والخرافات التي كانت البيئة غارقة فيها، وقد تجشم في هذا السبيل مصائب شديدة ومشاكل عديدة، حتى قاطعه أهل بلدته مقاطعة كلية، ومع ذلك لم يأخذه في سبيل الله لومة لائم، ولم تقف هذه المصائب في وجهه حجر عثرة، بل مضى في طريقه، ولم يبال بها، حتى أظهر في بلدته مباركفور العمل بالقرآن والسنة، وكان يشتغل في بيته بالتدريس والتعليم بالإضافة إلى ممارسته الطب، ثم ترك وراءه ولده الصالح الذي قدم للناس مؤلفات جليلة مما يخلد ذكره إلى يوم القيامة إن شاء الله.

وكان من تلامذته: الشيخ عبد السلام المباركفوري (مصنف سيرة البخاري)، والحافظ الشاه نظام الدين السريانوي. [١]

وكان للحافظ عبد الرحيم المباركفوري ابنان آخران، غير المحدث المباركفوري، هما: الشيخ محمد شفيع، والشيخ محمد علي، وتوفي المحدث المباركفوري ولم يرزق أولادا، والشيخ محمد شفيع كان له أولاد توالدوا وتناسلوا، وجرت فيهم سلسلة العلم والطب (والكاتب منهم)، أما الشيخ محمد علي فكان ابنه المولوي محمد أصغر. [٢]

---

[١] تراجم علماء حديث هند ٣٢٢ – ٣٢٣، تذكره علماء مباركفور ١٣٦ – ١٣٧.

[٢] تذكره علماء مباركفور ١٤٥ – ١٤٦.

ولادته ونشأته:

كانت ولادة المحدث محمد عبد الرحمن المباركفوري سنة ١٢٨٣ هـ [١] في بلدة "مباركفور" إحدى بلدات "أعظم كره" بولاية "أترابرديش" (الولاية الشمالية).

وأما بالنسبة لنشأته وتربيته، فهي كانت في بيئة صالحة نظيفة عريقة في العلم والمعرفة، لأن الأسرة التي فتح المباركفوري فيها عينيه – كما سبق أن عرفنا قبل قليل – كانت من الأسر التي تعرف بالعلم والصلاح والتقى، وكان لها في نفوس الناس في هذه البلدة مكانة جليلة، بحيث أنهم كانوا ينظرون إليها بنظرة تقدير وتبجيل، ومما يجدر بالذكر هو أن هذه الأسرة الكريمة كانت بعيدة كل البعد عن جميع الخرافات والبدع والتقاليد التي شاعت في كثير من أوساط المسلمين آنذاك، وأنها كانت متمسكة بالقرآن والحديث أشد التمسك، فكل ذلك كان له تأثير بالغ في تكوين شخصية الشيخ المباركفوري وتربيته تربية إسلامية منذ صغره.

وبما أن بيته كان مدرسة صغيرة [٢] يقصدها أبناء بلدة مباركفور، بدأت دراسته في بيته على يد والده الحافظ عبد الرحيم المباركفوري، بحيث أنه حفظ القرآن تحت رعايته في صغر سنه، وفرغ من قراءة المختصرات عليه.

وكان من تأثير هذه الأسرة الكريمة في تنشئته أنه مال إلى اتباع السنة والعمل بالحديث منذ صغره، ونشأت فيه شدة الرغبة في الاطلاع على عقائد السلف من الصحابة والتابعين، والتي لم تشبها النظريات الفلسفية والتأويلات الكلامية، وعلى هذا المنوال نشأ وتربى في بيئة صالحة حتى بلغ رشده، ثم خرج في طلب العلم على طريقة المحدثين.

زواجه:

إن المحدث المباركفوري تزوج مع أربع نسوة في أوقات متفرقة، وليس عندنا ما يثبت أنه متى تم عقد زواجه الأول، مع العلم بأنه لم يطلق أية زوجة من زوجاته، وإنما اضطرته وفاة كل واحدة منهن إلى أن يتزوج الأخرى.

---

[١] مقدمة تحفة الأحوذي ٢ / ١٨٩، نزهة الخواطر ٨ / ٢٤٢.

[٢] تذكره علماء مباركفور ١٤٦.

ولم يرزق له أولاد من أي واحدة من الأربع.

وأما الزوجة الرابعة فهي كانت أولا تحت شقيقه الشيخ محمد شفيع رحمه الله تعالى، ولما توفي وترك وراءه خمسة أولاد، ولم يكن لهم من يكفلهم تزوجها المحدث المباركفوري.

وبهذه الطريقة جاء أولاده تحت كفالته ورعايته، فقام بتربيتهم وكفالتهم قيام الوالد بأبنائه. (١)

أوصافه:

أوصافه الخلقية

يقول القاضي أطهر المباركفوري:

"كان المحدث المباركفوري وسطا في قامته، لينا في جسمه، أسمر اللون، جميل الوجه وضّاءه، يلبس السروال والقميص الأبيضين من الثياب الرخيصة والقلنسوة، ويأخذ الرداء على كتفه، ويمسك العصا في يده، وفقد بصره في آخر حياته". (٢)

أوصافه الخُلقية:

أما بالنسبة لأوصافه الخلقية فالناس كلهم ممن ترجم له من العلماء والمؤلفين أو ممن رآه وشاهده من الناس متفقون على أنه كان ذا أخلاق فاضلة وعادات حسنة، كما هم مجمعون على زهده وتقواه وصلاحه.

ويجدر بنا في هذا المكان أن نذكر بعض ما قاله بعض المترجمين له عن أخلاقه وزهده وتقواه.

فقال الشيخ عبد الحي بن فخر الدين الحسني:

"وكان [المحدث المباركفوري] من العلماء الربانيين، عالما عاملا، خاشعا متواضعا، رقيق القلب، سريع الدمعة، كثير البكاء، سخيا، صاحب إيثار وكرم وبر

---

(١) حدثني بزواج المحدث المباركفوري الشيخ عبد السميع المباركفوري رحمه الله (أكبر أولاد الشيخ محمد شفيع المباركفوري رحمه الله).

(٢) تذكره علماء مباركفور ١٥١.

بطلبة العلم، بعيدا عن التكلف في الملبس والمأكل والمظهر والمخبر، زاهدا متقللا من الدنيا، قانعا باليسير، زاهدا في المناصب والرواتب الكبيرة، مكبا على العلم والتأليف والمطالعة، ذاكرا لله تعالى في كل حال، سليم الصدر نزيه اللسان، كثير الصمت". [1]

ونرى القاضي أطهر المباركفوري أيضا يذكر عن زهده وورعه وتقواه كلاما يشبه ما قاله الشيخ عبد الحي الحسني [2] ويزيد عليه بقوله:

"فإنه كان تغلب عليه الخشية لله تعالى، وما كان يصلي بالناس في الصلوات الجهرية، لأنه كان يجهشه البكاء". [3]

وذكر عنه أيضا أنه ما كان يخرج من بيته إلى غير المسجد إلا إذا اضطرته الضرورة الملحة، ولهذا حدث له غير مرة أنه خرج من بيته في بلدته فضل الطريق وذهب إلى غير مكان يريده". [4]

وقال الشيخ أمين أحسن الإصلاحي في مقالة له كتبها عن حياته بشيء من البسط حين تعرض لذكر أوصافه الجليلة، فقال فيها:

"إن المباركفوري كان زاهدا في معناه الحقيقي، فإنه لم يرغب قط في تحصيل المتاع الدنيوي، ولم يخطر في باله هم في جمع المال أو الجاه، وبالخصوص في آخر حياته أغمض عينيه كليا عن كل ما يرغب الإنسان فيه من الدنيا ومتاعها، واعتكف في بيته مكبا على الحديث وفنونه مطالعة وتدريسا وتأليفا، وبهذا قضى الحياة كلها في غاية من السذاجة والغربة، مع أنه كان في إمكانه أن يعيش عيشة الترف والبذخ طول عمره بما كان له من أعوان ومحبين من العلماء والعوام منتشرين في أرجاء الهند من "بشاور" في الغرب إلى "كلكتا" في الشرق، وبالفعل قد عرض عليه بعض المناصب، ولكنه رفضه وآثر عليه بقاءه في خمول وانقطاع.

---

[1] نزهة الخواطر ٨ / ٢٤٢.

[٢، ٣، ٤] انظر تذكره علماء مباركفور ١٥٠.

ودائما يكون كلامه مع العلماء عن الحديث ومشكلاته، ولم أسمعه قط يغتاب أحدا أو يهجوه، كما لم أسمعه قط يشتكي مصيبة تنتابه، فإنه كان جبلا في الصبر والشكر، يتقبل جميع المصائب والمشاكل ببساطة، ولم ينبس بكلمة تنبئ عن قلقه واضطرابه على مصيبة من مصائبه.

وكان يرى على وجهه أثر السذاجة، والبعد عن التصنع والتكلف، تغلبه سذاجة الأطفال الصغار وعصمة وجوه الصبيان، فإني لم أر في حياتي وجها أكثر عصمة وسذاجة من غير الصبيان من وجهه، وكل من رآه ألقى في روعه محبة له بدون قصد منه.

وكانت هيئته تشهد بأنه لا يوجد فيه أي أثر من الكبر والفساد والأنانية والاستئثار بالنفس، كما لم يحدث لي ولو مرة واحدة أن أسمع منه كلمة تدل على أنه يعد نفسه من العلماء". [1]

وقال الدكتور محمد تقي الدين الهلالي رحمه الله تعالى، أحد تلاميذه البررة الذين يكنون له حبا جما، وهو في صدد ذكر رحلته إلى الهند والتقائه بالشيخ المباركفوري:

"ولقيت منه من الإكرام ما أعجز عن وصفه، بل أسأل الله أن يكافئه على ذلك في جنات عدن مع الذين أنعم الله عليهم، مع أني أدعو له في كل صلاة، ورأيت من زهده في الدنيا وتواضعه وحسن خلقه ما يفوق الوصف، فقد كان يقضي أوقاته في خدمة العلم تدريسا وتأليفا وإفتاء، ودعاه الدهلويون حين عزموا على تأسيس "دار الحديث" في مكة – شرفها الله – إلى أن يكون رئيسا فيها، فأبى، ودعاه غيرهم من أصحاب المدارس، فأبى، وكان لا يعيش إلا مما يكتسبه من العلاج، لأنه كان طبيبا حاذقا، وكان لا يشتغل بالطب إلا من بعد صلاة العصر إلى المغرب، وذكر مناقبه يفضي بي إلى التطويل الذي يجعل طبع الكتاب صعبا، ولكن لابد أن أذكر مكرمة له، لا أستطيع تركها، وذلك أنه حتم علي في تلك المدة أن لا آكل إلا عنده، ولما عزمت على السفر قال لي: لا تسافر في السكة الحديدية إلى مدينة أعظم كره، فإن

---

[1] انظر مجلة "المنير" الأسبوعية (أردو) ١٤ / ذي الحجة سنة ١٣٧٤ هـ.

ذلك يشق عليك، فهنا اثنان من أصحابنا يسافران على عربة تجرها الخيل في وسط الليل، فأردت أن أودعه، فقال لي: لابد أن أخرج لوداعك، وأصر علي ذلك، فقام في نصف الليل، وذهب معي إلى المكان الذي فيه العربة، فوضع في كفي قرطاسا وضم يدي عليه، وقال: "أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك، زودك الله التقوى، ويسر لك الخير أينما توجهت". وظننت أن القرطاس ورقة مالية، فوضعتها في يده وضممتها، وقلت له: لست في حاجة، فأخذ بيدي إلى أن بعدنا عن الرجلين، وبكى بكاء شديدا، وهو يقول: اقبل مني، اقبل مني، فاقشعر جلدي وندمت على ما فعلت، وقبلت تلك الورقة وتأثرت بما رأيته من بكائه، حتى إني حين طلع الفجر صليت الصبح إماما بالرفيقين، فبكيت كثيرا في أثناء القراءة، فالله يرحمه رحمة واسعة". [١]

فالقصة لهي أكبر دليل على ما قاله الأستاذ عبد الحي الحسني، والذي مر بنا آنفا بأن الشيخ المباركفوري كان سخيا صاحب إيثار وكرم وبر بطلبة العلم.

وخلاصة القول: إن المحدث المباركفوري جمع عنده شيئا كثيرا من الفضائل والمكرمات التي تتوفر في عباد الله الصالحين، وقد شهد بذلك كل من مخالفيه ومؤيديه.

وإذا أردت أن تعرف بما كان المحدث المباركفوري يتحلى به من أوصاف حميدة ويتمتع به من عادات جميلة أكثر مما أثبتناه، فعليك بالرجوع إلى ما كتبه ببسط صاحب ترجمته في آخر مقدمة تحفة الأحوذي، تحت عنوان: "هديه وشمائله وأخلاقه"[٢]. فإنه يعطيك صورة صادقة عما كان عليه من العادات والأخلاق والصفات، فإننا إذا تعرضنا لذكر جميع ما قيل عنه يطيل بنا الكلام إلى حد بعيد.

(يتبع)

❖❖❖

---

[١] الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة ١٣٨.

[٢] انظر مقدمة تحفة الأحوذي ٢ / ٢١١.

كثرة الخطباء وقلة العلماء

عيسى القدومي

حقاً إننا نعيش في زمان يكثر خطباؤه ويقل علماؤه، وهذا مصداق لما أخبر به الصادق الأمين محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم، فالعلماء في هذا الزمان قليل، والخطباء كثير، وجولة في القنوات الفضائية تكفيك جهد البحث عن دلائل لكثرة الخطباء والمتكلمين، وقلة العلماء الربانيين.

أخرج الترمذي وأحمد وصحح الألباني حديثا عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنكم اليوم في زمان كثير علماؤه، قليل خطباؤه، من ترك عشر ما يعرف فقد هوى، ويأتي من بعد ذلك زمان: كثير خطباؤه، قليل علماؤه، من استمسك بعشر ما يعرف فقد نجا".

والحديث واضح الدلالة على أنه لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، فالأمة زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كان فيها كثير من العلماء، وإذا كثر العلماء قلّ الخطباء، فالعلماء هم علامة الخير والأمان والرأي السديد في الأمة، والزمن الذي يكثر فيه العلماء يكثر خيره ويقل شره وتوأد فتنته.

فزمن النبوة والصحابة بين يدي الرسول الهادي إلى سواء السبيل هو زمن قيام الدين في النفوس، وقيام دولته وانتصاره وانتشاره في الأرض، فلا عذر لمن لا يتمسك بكل عرى الدين دون خوف من عدو قريب أو بعيد، ومن ترك شيئا من الواجبات وهو قادر على أدائه فهو آثم. فالنبي صلى الله عليه وسلم خاطب الصحابة بأنهم في زمان متصف بالأمن وعز الإسلام، ومن ترك عُشر ما أمر به من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر وما أمر به من دين الله فقد هلك، أي وقع في المهالك، فالترك تقصير ولا عذر له.

وبعد ذلك يأتي زمان يضعف فيه الإسلام، ويكثر الظلم ويعم الفسق والفجور ويقل أنصار الدين ويكثر المعادون، وكانت وصية النبي صلى الله عليه وسلم لأمته

التمسك بعشر ما نعرف، لصعوبة العمل بأكثر أمور الدين، فواقع الأمة وتداعي الأمم عليها كالأكلة إلى قصعتها يجعلها توازن وتقدم المصالح على المفاسد، لا أن يعلن كل خطيب وكل من اعتلى منبرا ما شاء من القول مع الجهل، ليفسد أكثر مما يصلح.

فمع قلة العلم والعلماء يجد المتكلمون المتشدقون المضللون فرصتهم لبث سمومهم، وتكثر الكتابات والمؤلفات لمواضيع يندى لها الجبين، تضيع فيها الأحكام والحدود، وتنتشر معها الأهواء والبدع والضلالات، بمقاسات تناسب أهواء الناس وفتنهم!!

وفي آخر الزمان يتناقص العلماء ويكثر الجهل ويعم الفساد، وهذا قد أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم، فإذا ذهبوا ذهب العلم وأقبل الجهل. عن أنس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويبث الجهل، وتشرب الخمر، ويظهر الزنى" رواه البخاري ومسلم.

وعن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا" رواه الشيخان.

وقد عد العلماء كثرة الخطباء وقلة الفقهاء من أشراط الساعة: لما روى مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد أن عبد الله بن مسعود قال لإنسان: إنك في زمان كثير فقهاؤه، قليل قراؤه، تحفظ فيه حدود القرآن، وتضيّع حروفه، قليل من يسأل، كثير من يعطي، يطيلون فيه الصلاة، ويقصرون الخطبة، يبدون أعمالهم قبل أهوائهم. سيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه، كثير قراؤه، تحفظ فيه حروف القرآن، وتضيع حدوده، كثير من يسأل، قليل من يعطي. يطيلون فيه الخطبة، ويقصرون الصلاة، يبدون فيه أهواءهم قبل أعمالهم.

من العلماء؟

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي – رحمه الله تعالى – في كتابه القيم النافع "فضل علم السلف على علم الخلف"، رادا به على من اغتر بكثرة الكلام، وعده معيارا للعالم، قال – رحمه الله تعالى - : وقد ابتلينا بجهلة من الناس، يعتقدون في بعض من توسّع في القول من المتأخرين أنه أعلم ممن تقدم، فمنهم من يظن في شخص أنه أعلم من كل من تقدم من الصحابة ومن بعدهم، لكثرة بيانه ومقاله، ومنهم من يقول هو أعلم من الفقهاء المشهورين المتبوعين – ثم ذكر الثوري والأوزاعي والليث وابن المبارك وقال: فإن هؤلاء كلهم أقل كلاما ممن جاء بعدهم، وهذا – أي هذا التفصيل – تنقص عظيم بالسلف الصالح، وإساءة ظن بهم، ونسبتهم إلى الجهل وقصور العلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ويضيف الحافظ ابن رجب الحنبلي – رحمه الله - : وفي الجملة ففي هذه الأزمان الفاسدة إما أن يرضى الإنسان لنفسه أن يكون عالما عند الله ولا يرضى إلا بأن يكون عند أهل الزمان عالما ، فإن رضي بالأول فليكتف بعلم الله فيه، ومن كان بينه وبين الله معرفة اكتفى بمعرفة الله إياه، ومن لم يرض إلا بأن يكون عالما عند الناس دخل في قوله صلى الله عليه وسلم:"من طلب العلم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، فليتبوأ مقعده من النار".

ولا شك أن أعظم فتنة في هذه الأزمان التمسك بالدين وحفظه وعدم التنازل عنه، فالمحافظة على الخير ولو كان قليلا فيها سلامة للمسلم وحفظ له من الانزلاق والسقوط، فعلى المسلم أن يستمسك بما يستطيع: {لا يكلف الله نفسا إلا وسعها} ويجعل من هذا التمسك منهج حياة يحفظ به المسلم دينه وعقيدته.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا للعلم النافع، ونعوذ به من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يسمع، والحمد لله رب العالمين.

(مع الشكر لمجلة الفرقان الكويتية)

❖❖❖

ما شاع ولم يثبت

قتل أبي عبيدة رضي الله عنه لأبيه

محمد بن عبد الله العوشن

ذكر بعض المفسرين عند قوله تعالى: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (المجادلة: ٢٢)

أنها نزلت في أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال القرطبي: "قال ابن مسعود: نزلت في أبي عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد، وقيل: يوم بدر. وكان الجراح يتصدى لأبي عبيدة، وأبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قصد إليه أبوعبيدة فقتله، فأنزل الله حين قتل أباه، {لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون ...} الآية. قال الواقدي: كذلك يقول أهل الشام. ولقد سألت رجلا من بني الحارث بن فهر فقالوا: توفي أبوه قبل الإسلام [1]".

وروى الحاكم في (المستدرك) في مناقب أبي عبيدة رضي الله عنه بسنده عن عبدالله بن شَوذب قال: جعل أبو أبي عبيدة بن الجراح ينصب الأل [2] لأبي عبيدة يوم

[1] الجامع لأحكام القرآن الكريم (تفسير القرطبي). دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

[2] هكذا هنا، وفي التلخيص كما سيأتي: (ينعت الآلهة) أي يصفها، ولعله تصحيف. والألة: الحربة العظيمة النصل، جمعها أل (لسان العرب، مادة: ألل).

بدر، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر الجراح قصده أبو عبيدة فقتله، فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية حين قتل أباه: {لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون}[١] الآية، وسكت عنه الذهبي. ورواه البيهقي من طريق الحاكم، كما في (السنن الكبرى) وقال عقبه: "هذا منقطع [٢]".

وقال الحافظ ابن حجر (في الفتح) في مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، "وقتل أبوه كافرا يوم بدر، ويقال إنه هو الذي قتله، ورواه الطبراني وغيره من طريق عبد الله بن شوذب مرسلا [٣]".

وقال رحمه الله في (التلخيص): "روى الحاكم والبيهقي منقطعا عن عبد الله بن شوذب قال: (جعل أبو عبيدة بن الجراح ينعت الآلهة لأبي عبيدة يوم بدر، وجعل أبوعبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قصده أبو عبيدة فقتله) وهذا معضل، وكان الواقدي ينكره ويقول: مات والد أبي عبيدة قبل الإسلام [٤]".

وقال في (الإصابة) في ترجمته: "ويقال إنه قتل أباه يوم بدر ونزلت فيه {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَّ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ ...} وهو فيما أخرجه الطبراني بسند جيد عن عبد الله بن شوذب قال: "جعل والد أبي عبيدة يتصدى لأبي عبيدة يوم بدر فيحيد عنه، فلما أكثر قصده فقتله فنزلت[٥]". وأقوال الحافظ الثلاثة في (الفتح) وفي (التلخيص) وفي (الإصابة)

---

[١] ٣ / ٢٩٦.

[٢] ٩ / ٢٧، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٣ هـ.

[٣] فتح الباري (٧ / ٩٣).

[٤] التلخيص الحبير (٤ / ١١٣) التهذيب (٥ / ٧٣).

[٥] الإصابة (٢ / ٢٤٤)، دار الكتاب العربي.

ووصفه للخبر بأنه مرسل، وفي الأخرى بأنه معضل وفي الثالثة بأن سنده جيد لا تعارض بينها عند التأمل.

وعبد الله بن شَوذب أكثر الأئمة على توثيقه، لكن الخبر منقطع، وابن شوذب ولد سنة ٨٦ هـ ومات سنة ١٤٤ هـ، وقيل: ١٥٦هـ [١]. ولذا قال ابن الملقن: "وهذا مرسل على قول الأكثر، وعلى قول من زعم أن المرسل لا يكون إلا من التابعين يكون معضلا، لأن عبد الله هذا إنما يروي عن التابعين [٢]".

فائدة: ومسألة قتل الابن المسلم أباه المشرك قال عنها شيخ الإسلام في الفتاوى: "إذا كان (الوالد) مشركا جاز للولد قتله، وفي كراهته نزاع بين العلماء [٣]". اهـ

وقد بوّب الإمام البيهقي في (السنن) لما أورد الخبر بقوله: (باب المسلم يتوقى في الحرب قتل أبيه، ولو قتله لم يكن به بأس [٤]).

وقد جاء عن اثنين من الصحابة رضي الله عنهم فيما وقفت عليه – استئذانهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل أبويهما، هما: عبد الله بن عبد الله بن أبي وحنظلة بن أبي عامر، قال ابن حجر في (الفتح): "ومن مناقبه – عبد الله بن عبد الله بن أبي – أنه بلغه بعض مقالات أبيه فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه في قتله، قال: "بل أحسن صحبته" أخرجه ابن منده من حديث أبي هريرة بإسناد حسن، وفي الطبراني من طريق عروة بن الزبير عن عبد الله بن عبد الله بن أبي أنه استأذن، نحوه، وهذا منقطع لأن عروة لم يدركه [٥]" اهـ. وقال في (الإصابة) في ترجمة حنظلة رضي

---

[١] تهذيب التهذيب (٥ / ٢٥٥).
[٢] البدر المنير (٩ / ٧٩).
[٣] الفتاوى (١٤ / ٤٧٨).
[٤] السنن الكبرى (٩ / ٢٦).
[٥] فتح الباري (١٤ / ٤٧٨).

الله عنه: "وروى ابن شاهين بإسناد حسن إلى هشام بن عروة عن أبيه قال: استأذن حنظلة بن أبي عامر وعبد الله بن (عبد الله بن) أبي ابن سلول رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل أبويهما، فنهاهما عن ذلك [١]". ا.هـ. والحافظ حسّن الإسناد هنا مع أنه في الفتح أعله بالانقطاع، لأن عروة بن الزبير رضي الله عنه تابعي، فهو لم يدرك القصة.

واستئذان عبد الله بن عبد الله في قتل والده رواه أيضا الحاكم في (المستدرك) قال: حدثنا أبو العباس .. عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول قال: "قلت: يا رسول الله، أقتل أبي؟ قال: لا تقتل أباك [٢]".

وسكت عنه الذهبي في التلخيص. وإسناده مرسل كما سبق. وعزاه الهيثمي في (مجمع الزوائد) إلى الطبراني وقال: "رجاله رجال الصحيح إلا أن عروة بن الزبير لم يدرك عبد الله بن عبد الله بن أبي" ثم قال: "وعن أبي هريرة قال: مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبد الله بن أبي وهو في ظل أطم فقال: غبّر علينا ابن أبي كبشة، فقال ابنه عبد الله: يا رسول الله والذي أكرمك لئن شئت لأتيتك برأسه، فقال: "لا، ولكن برّ أباك، وأحسن صحبته". رواه البزار، ورجاله ثقات [٣]". ا.هـ.

ورواه ابن إسحاق في السيرة في غزوة بني المصطلق، قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عبد الله أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه [٤] فإن كنت لابد فاعلا فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي

---

[١] الإصابة (٣ / ٦٧٩).

[٢] ٣ / ٦٧٩.

[٣] مجمع الزوائد (٩ / ٣١٨). وأورده الألباني في الصحيحة (٣٢٢٣) بعد أن عزاه لابن حبان والبزار.

[٤] أي من قوله: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

يمشي في الناس، فأقتله، فأقتل مؤمنا بكافر، فأدخل النار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا [١]". وعاصم بن عمر تابعي، فالحديث مرسل.

فائدة: أخرج الإمام مسلم في صحيحه [٢] في قصة اعتزال الرسول صلى الله عليه وسلم نساءه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه (والله لئن أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب عنقها لأضربن عنقها .." (يعني ابنته حفصة رضي الله عنها)

فائدة: قال الصالحي (ت ٩٤٢هـ) رحمه الله معلقا على استئذان عبد الله بن عبدالله بن أبي في قتل أبيه: "وفي هذا: العلم العظيم والبرهان النير من أعلام النبوة، فإن العرب كانت أشد خلق الله حمية وتعصبا، فبلغ الإيمان منهم ونور اليقين من قلوبهم إلى أن يرغب الرجل منهم في قتل أبيه وولده، تقربا إلى الله تعالى وتزلفا إلى رسوله، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم أبعد الناس نسبا منهم، أي الأنصار، وما تأخر إسلام قومه وبني عمه وسبق الإيمان به الأباعد إلا لحكمة عظيمة، إذ لو بادر أهله وأقربوه إلى الإيمان به لقيل: قوم أرادوا الفخر برجل منهم، وتعصبوا له، فلما بادر إليه الأباعد وقاتلوا على حبه من كان منهم، ورهبة من الله تعالى أزالت صفة قد كانت سَدِكت [٣] في نفوسهم من أخلاق الجاهلية، لا يستطيع إزالتها إلا الذي فطر الفطرة الأولى .... [٤]".

❖❖❖

---

[١] الروض الأنف (٦ / ٤٣).

[٢] كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير المرأة لا يكون طلاقا إلا بالنية (١٠ / ٨٣ نووي).

[٣] السدك: المولع بالشيء.

[٤] سبل الهدى والرشاد (٤ / ٣٥٧).

لمحة تاريخية عن الاختلاف في فروع الشريعة

أحمد بن محمد عمر الأنصاري

لقد بعث الله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى العرب وهم أمة أمية، أبعد ما تكون عن الحضارة والتقدم في جميع شؤونهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فلم تكن لهم نظم، أو قوانين دقيقة ينظمون بها أنفسهم وحياتهم إلا بعض الأعراف والعادات البدوية التي يحتكمون إليها، ذلك أن غالبية العرب كانت من البدو الرحل النائين عن الحضارات الرومانية والفارسية القريبة منهم، فضلا عن عدم استفادتهم من أصحاب الديانات السماوية السابقة – اليهود والنصارى – المحيطة بهم حتى ولو كانت تلك الديانات محرفة.

والدليل على ذلك ما قاله جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي – أصحمة بن أبحر ملك الحبشة – رضي الله عنه حين جاء وفد قريش إليه يطلبون منه إرجاع المسلمين المهاجرين الذين فروا منهم إلى الحبشة، فأحضر النجاشي المسلمين لمقابلة وفد قريش، وجرى الحوار بين الطرفين على مرأى ومسمع من النجاشي. وكان جعفر رضي الله عنه هو المتكلم نيابة عن المسلمين، فقال حين طلب منه الكلام: أيها الملك إنا كنا قوما على الشرك نعبد الأوثان ونأكل الميتة ونسيء الجوار، يستحل المحارم بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها، لا نحل شيئا ولا نحرمه، فبعث الله إلينا نبيا من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش، وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام – وعدد عليه شرائع الإسلام – فصدقناه وآمنا به واتبعناه

على ما جاء به من عند الله..." [١]. ويدل عليه أيضا ما ذكره الحافظ ابن كثير في تاريخه من أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أرسل إلى كسرى [٢] رسلا قبل وقعة القادسية، فاستأذنوا على كسرى فأذن لهم.

وتكلم كسرى فقال: "إني لا أعلم في الأرض أمة كان أشقى ولا أقل عددا، ولا أسوأ ذات بين منكم، قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي ليكفوناكم، لا تغزوكم فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم، فإن كان عددكم كثر فلا يغرنكم منا، وإن الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتا إلى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم، وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم.

فقام المغيرة بن شعبة رضي الله عنه فأجابه قائلا: إنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالما، فأما ما ذكرت من سوء الحال فما كان أسوأ حالا منا، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع، كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات، ونرى ذلك طعامنا.

وأما المنازل فإنما هي ظهر الأرض، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم، ديننا أن يقتل بعضنا بعضا وأن يبغي بعضنا على بعض، وإن كان أحدنا ليدفن ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامه، وكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك، فبعث الله إلينا رجلا معروفا، نعرف نسبه، ونعرف وجهه ومولده .... وذكر له قريبا مما ذكر جعفر للنجاشي" [٣].

ومن هذين النصين يتضح أن العرب في الجزيرة قبل البعثة المحمدية كانوا محكومين بالعديد من العادات والتقاليد التي كانت بعيدة كل البعد عن التنظيم والتقنين والحضارة. فبعث الله إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم رحمة بهم وبالناس

---

[١] السيرة النبوية، لابن هشام: ١ / ٢٩٠.

[٢] هو ملك فارس وآخر الأكاسرة مطلقا يزدجرد بن شهريار بن أبرويز بن هرمز بن أنوشروان، قتله بعض عماله سنة ٣٠ هـ انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٢ / ١٠٩.

[٣] البداية والنهاية: ٧ / ٤٢ – ٤٣.

أجمعين، فأخرجهم من ظلمات الجهل والشرك إلى نور العلم والإيمان ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، وأسس لهم مبادئ راسخة، وجاءهم بشرع قويم يضمن لهم السعادة في الدنيا والفلاح في الآخرة. قال تعالى: {هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين} [1].

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم مرجعا للمسلمين في كل شأن من شؤونهم، يسألونه في كل ما يقع بينهم فيخبرهم بحكم الله فيه، فيقبلونه ويطيعونه في كل ذلك، وقد يجتهد بعضهم في بعض الأمور التي لا نص فيها، فيقرهم على نتيجة ذلك الاجتهاد إن كانت صائبة، وإن كانت خاطئة نبههم فتركوها طائعين ومسلمين مما جعل أثر الاختلاف في حياته مفقودا، لأنه صلى الله عليه وسلم مرجع كل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، وهو صلى الله عليه وسلم إنما يتلقى الشرع من الله بنزول الوحي حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى بعد أن أكمل الله الدين.

وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم رسالة ربه إلى الناس على أكمل وجه وأحسنه فترك الأمة على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك. قال عليه الصلاة والسلام: "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما، كتاب الله وسنة نبيه" [2].

وقد أخذ الصحابة رضي الله عنهم على أنفسهم تبليغ هذا الدين ونشره بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وكانوا خير القرون، وشهد لهم القرآن بالعدالة، كما شهدت لهم بها السنة، وهم أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمهم بشريعته وأسرارها يهتدون بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم لا يألون جهدا في العمل بهما في مختلف المجالات والوقائع التي جدت لهم، واجتهدوا في استنباط

---

[1] سورة الجمعة: ٢.

[2] رواه مالك في الموطأ كتاب القدر، باب "١": ٢ / ٨٨٩، وقال الألباني: صحيح، انظر: تعليقه على مشكاة المصابيح للتبريزي: ١ / ٦٦، وصحيح الجامع: ١ / ٥٦٦.

أحكام لها من الكتاب والسنة فاختلفت وجهات أنظارهم في تلك الحوادث وأحكامها وحدث بينهم خلاف في تلك المسائل الاجتهادية، لاختلاف علمهم وتفاوت مداركهم فيما تهدف إليه الشريعة منها [١].

وهذه بعض الأمثلة للمسائل التي اختلفوا فيها رضوان الله عليهم:

١ – مسألة الإمامة العظمى:

"بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى اختلف الصحابة من المهاجرين والأنصار في أحقية أحد الطرفين بتولي الخلافة، فقالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، واجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، وأتاهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ابن الجراح رضي الله عنهم. وخطب الصديق فقال كلاما منه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال الحباب بن المنذر الأنصاري رضي الله عنه، لا والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير، فقال أبوبكر: لا، ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء. هم أوسط العرب دارا وأعربهم أحسابا، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة، فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس، ثم عاد إلى المسجد فبايعه بقية الناس واتفقوا على خلافته" [٢].

٢ – مسألة قتال المرتدين:

حينما سمعت بعض قبائل العرب بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت عن الإسلام، ونكصت عن أداء الزكاة، فعند ذلك عزم الصديق رضي الله عنه على قتالهم وأخبر بذلك عمر رضي الله عنه، فقال عمر لأبي بكر: كيف تقاتل جماعة تشهد أن لا إله إلا الله، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم". عندئذ ذكره أبوبكر رضي الله عنه بما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث وهو قوله: "إلا بحقها" ثم قال الصديق رضي الله عنه مقالته المشهورة: والله لو منعوني عقال

---

[١] انظر: أسباب اختلاف الفقهاء، للدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي: ص ١١.

[٢] رواه البخاري في كتاب الفضائل باب "٥" فتح الباري: ٧ / ٢٠.

بعير كانو يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه، فشرح الله صدر عمر لذلك ووافقه على قتالهم" [١] وتوحدت كلمة المسلمين على قتال مانعي الزكاة.

٣ – إنفاذ بعث أسامة بن زيد رضي الله عنه

نقل الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى عن الحافظ البيهقي رحمه الله بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: "والله الذي لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر استخلف ما عُبد الله!، ثم قال الثانية: ثم قال الثالثة، فقيل له: مه يا أبا هريرة؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه أسامة بن زيد في سبع مائة إلى الشام، فلما نزل بذي خشب قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وارتدت العرب حول المدينة، فاجتمع إليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: "يا أبابكر ردّ هؤلاء، وتوجه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة؟ فقال: والذي لا إله غيره لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رددت جيشا وجهه رسول الله، ولا حللت لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فوجه أسامة، فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا: لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم، فلقوا الروم فهزموهم وقتلوهم، ورجعوا سالمين، فثبتوا على الإسلام" [٢].

والمسائل التي اختلف فيها الصحابة رضوان الله عليهم لا يكاد يحصيها كتاب، وما ذكرته هو على سبيل التمثيل لا الحصر، ثم إن الاختلاف توالى بعد ذلك في المسائل الاجتهادية، غير أن اختلاف الصحابة أقل من اختلاف من جاء بعدهم لقرب عهدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما عندهم من الرصيد الكبير من السنة،

---

[١] رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب "١": فتح الباري: ٣ / ٢٦٢. ومسلم في كتاب الإيمان باب "٨": ١ / ٥١ – ٥٢.

[٢] البداية والنهاية: ٦ / ٣٠٩، وانظر: العواصم من القواصم: ص ٦٣.

ومن بعد النظر، ونفاذ البصيرة، وقلة الهوى، ولندرة الوقائع المتجددة بالنسبة لمن جاء بعدهم.

أما بعد عهد الصحابة، فمعلوم أن الصحابة تفرقوا في الأمصار بعد ما فتحها الله عليهم، وقد كان مع كل منهم ما ليس مع الآخر من سنة رسول الله، وقد أخذ التابعون عن الصحابة كل في مكانه.

فتتلمذوا عليهم وتعلموا منهم، فاجتمع للتابعين ما بلغهم من السنة وأقوال الصحابة وفتاويهم، واجتهدوا في ترجيح بعض الأقوال على بعض، كما اجتهدوا في استنباط أحكام الوقائع التي لم تحدث من قبل. واشتهر في كل قطر منهم أئمة يؤخذ عنهم العلم، وقد عمل كل منهم بما وصله أو اجتهد فيه، وقد يرجح كل منهم بمرجحات لا يراها غيره حجة [1]. ثم أتى بعد التابعين فقهاء الأقطار كأبي حنيفة، ومالك، والأوزاعي، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد، ومعاصريهم ومن جاء بعدهم.

وهؤلاء الفقهاء رحمهم الله جروا كلهم على المنهج الذي سلكه أسلافهم، فأخذوا عن التابعين وعلماء عصرهم واجتهدوا فيما لم يجدوا فيه نصوصا، مع التأثر بالبيئات التي نشأوا فيها، فابتدأ التمايز بين مذهب أهل الحديث وأهل الرأي.

وفي هذا الدور ابتدأ تدوين العلوم وجمعها والتأليف فيها وبدأت المذاهب تتميز، ويتميز أتباعها، وكثرت الرحلة في طلب الحديث وجمعه، ووضعت الأصول التي يميز بها الصحيح من السقيم في الحديث والرجال. واطلع تلاميذ كل إمام على ما لم يطلع عليه إمامهم، واتسعت دائرة الاجتهاد لكثرة الوقائع، فتكونت المذاهب وأسست أصولها، وخدم كل أتباع مذهب مذهبهم واشتهر الكثير من المحدثين والفقهاء والأصوليين والمفسرين.

---

[1] انظر: محاضرات في المدخل لعلم الفقه، للدكتور عبد الرحمن الصابوني: ص ٣١٥، ونظرة عامة في تاريخ الفقه، لعلي حسن عبد القادر: ص ٨١ – ٨٩.

ولم يكن أتباع المذاهب وقتها مقلدين، بمعنى التقليد الأصولي، بل كانوا يبحثون عن الأقوال وأدلتها ويأخذون بقول إمامهم لقوة دليله عندهم، لا لأجل التقليد المحض، ولم يكن التعصب للمذاهب موجودا على الهيئة التي وجد عليها فيما بعد ذلك، ولم ينحصر عدد المذاهب المتبعة في عدد معين.

بل كان الأئمة المتبعون كثيرين، منتشرين ومتوزعين في الأمصار، بل قد يوجد في مصر واحد أكثر من إمام متبع في زمن واحد.

وكان هذا كله إبان العصور الثلاثة الخيرة لهذه الأمة، أما بعد القرن الرابع الهجري وما تلاه فقد بدأ التقليد والتعصب للمذاهب شيئا فشيئا، واشتد الجدل بين أتباع المذاهب، وبدأ الضعف يدب بالتدريج في حركة الاجتهاد والاستنباط حتى وصلت إلى مرحلة الركود والجمود، ونودي بإغلاق باب الاجتهاد.

وأصبح جهد علماء المذاهب هو التخريج على قواعد أئمتهم وأقوالهم وشرح كتب المذاهب واختصارها وتدريسها، وشنعوا على الخارج عن أقوال الأئمة، وإن كان متمسكا بنصوص الكتاب والسنة التي لا يجدون لها مدفعا. ولذلك قلت أعداد الأئمة المجتهدين في تلك العصور إذا قيسوا بأعدادهم في القرون الأربعة الأولى [١].

وفي العصر الحديث ابتدأ بعض العلماء بالنداء إلى توحيد المذاهب والدعوة مجددا إلى عودة الأمة إلى الاجتهاد فيما يجد من أحداث، وظهرت الموسوعات الفقهية، وأنشئت المجامع الفقهية لإصدار فتاوى شبه مجمع عليها، وعاد من جديد النداء بالرجوع إلى الكتاب والسنة والأخذ منهما مع الأخذ بالمذاهب فيما وافقها فيه الدليل. ولا زالت هذه الحركة مستمرة حتى الآن [٢].



[١] انظر: تاريخ التشريع الإسلامي للخضري: ص ٢١٦، وأسباب اختلاف الفقهاء: للتركي ص ٢٤.

[٢] انظر: المدخل للفقه الإسلامي، لحسن علي الشاذلي ص ٣٣٦ – ٣٥٢.

وسائل التواصل الاجتماعي وأثرها على الفرد والمجتمع

عزير أحمد عبد الرشيد / الرياض

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين. وبعد

لقد أدى تسارع التطور التكنولوجي في منتصف التسعينات من القرن الماضي إلى حدوث طفرة على كافة المستويات العلمية، وانطلاق ثورة حقيقية في عالم الاتصال؛ حيث انتشرت شبكة الإنترنت في أرجاء العالم التي ربطت العالم كله بأجزائه المترامية، و هو ما جعل العالم يشبه القرية الصغيرة.

ونظرا لأهمية الموضوع ولعلاقته الشديدة بقضايا العصر حاولت أن أتعرض له في هذه السطور. والكلام فيه ليس مبسوطا كما كان حقه، إلا أنني حاولت تغطية أهم الجوانب المتصلة به بإيجاز.

مفهوم "وسائل التواصل الاجتماعي":

التعريف الإجرائي لـ "وسائل التواصل الاجتماعي": يمكن لنا استنباطه من خلال التعريفات لكل كلمة على حدة: أن وسائل التواصل الاجتماعي هي: الطرق والأدوات التي يمكن بواسطتها تبادل المعلومات والمعارف وإيجاد علاقة إنسانية راقية، وهي تتضمن الوسائل التقليدية والحديثة الإلكترونية.

ولكن كلامنا في هذا البحث سينحصر في النوع الثاني (الوسائل الإلكترونية الشبكية)، ومن هنا نجد لها عدة تعريفات، وأذكر هنا الأشهر منهاوهو تعريف فايز الشهري يقول: "إنهامنظومة من الشبكات الإلكترونية عبر الإنترنت تتيح للمشترك فيه إنشاء موقع خاص به، ومن ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم نفس الاهتمامات والهوايات" [١].

---

[١] الفيس بوك والشاب العربي/ لليلى جرار، ص٣٧، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى:٢٠١٢م.

نشأة وسائل التواصل الاجتماعي وتطورها:

ذهب أكثر الباحثين إلى أن أول ظهور لوسائل التواصل الاجتماعي كان في بداية التسعينات الميلادية، ففي عام ١٩٩٥م صمم راندي كونرادز موقع Classmates.com لمساعدة الزملاء الدارسين على التعارف المتبادل [(١)].

إلا أن هناك بعض الباحثين يرجعون تاريخ ظهورها إلى عام ١٩٩٧م، بظهور الموقع الاجتماعي Sixdegrees.com وذهب إلى هذا الرأي : إلسون (Ellison) وبويد (Boyed) [(٢)]، ويميل إليه الدكتور حسني عوض في بحثه الذي أصدرته جامعة القدس المفتوحة [(٣)].

وعلى كل توالى بعد ذلك تأسيس مواقع الشبكات الاجتماعية، إلى أن أصبحت هذه الشبكات تستقطب أكثر من ثلثي مستخدمي الانترنت، والنقلة الكبيرة في شبكات التواصل حدثت عام ٢٠٠٥م؛ حيث اشتهر موقع ماي اسبيس (MySpace)، وموقع فيسبوك (Facebook) - الأشهر عالميا – [(٤)].

أنواع وسائل التواصل الاجتماعي:

عند ما نعود إلى البحوث والدراسات التي أجريت في هذا الباب، ونغوص في عمقها؛ نجد أن المحللين والباحثين يصنفون هذه الوسائل والمواقع الاجتماعية في خمسة أنواع:

---

(١) ينظر: تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على جمهور المتلقين، لـ محمد المنصور، الأكاديمية العربية في الدنمارك، ٢٠١٢م، ص: ٧٧.

(٢) Social Network Sites: Definition, History, and Scholarship ص/٤، جامعة كاليفورنيا.

(٣) أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية المسؤولية المجتمعية لدى الشباب، ص ٤ ، موجود على الشبكة بصيغة pdf بدون غلاف.

(٤) الإعلام الجديد (شبكات التواصل الاجتماعي) للأستاذ على خليل شقرة، ص: ٥٨، الناشر: دار أسامة للنشر، الأردن: ٢٠١٤م، ص/٥٨.

النوع الأول: ما يختص بالاتصالات وإيجاد المعلومات وتبادلها، ومن الأمثلة على هذا النوع:

- المُدَوّنات (Blogs): وهي منشورات على شبكة الويب تتألف بالدرجة الأولى من مقالات دورية [1]. ومن أشهرها: Blogger، Open Diary، Word Press.

- المدونات الجزئية (Micro Blogs): ويميزها عن المدونات العادية صغر حجم كمية المعلومات (نصية، صورة، صوتية، ومرئية) المتداولة عليها، وأشهرها: تويتر (Twitter)، وقد أسس عام ٢٠٠٦ م بجهود شركة (Obvious) الأمريكية عند إجراء بحث تطويري لخدمة التدوين [2].

- مواقع الترابط الشبكي الاجتماعي: وأشهر هذه المواقع:

.Orkut,Nimbuzz,Facebook,WhatsApp,Instegram [3]

النوع الثاني: مواقع التعاون وبناء فرق العمل، ومنها: الويكي (Wiki) - ومن أفضلها: موقع (Wikipedia) - ، ومواقع الأخبار الاجتماعية، ومواقع إدارة الملَفّات وتحرير النصوص: ومن أشهرها: Drop box .

النوع الثالث: مواقع الوسائط المتعددة، ومنها:

- مواقع التصوير والفن، ومن أشهرها: Flickr, Photobucket, Picasa .

- مواقع مشاركة الفيديو والبث المباشر: ومنها: Viddler, Vimeo, YouTube, Dailymotion.

---

[1] الإعلام الجديد ص١٠٣.

[2] أثر استخدام شبكات التواصل الإلكترونية على العلاقات الاجتماعية: فيسبوك وتويتر أنموذجا، رسالة الطالبة:حنان شعشوع الشهري ص:٣٢، جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٣٣هـ.

[3] بحث منشور في موقع يمن المستقبل، والرابط:

http://www.yemenfuture.net/index/shownewsdetails/٣٨٠

وأشهرها موقع اليوتوب (YouTube) الذي أسسه في ١٤ فبراير سنة ٢٠٠٥م ثلاثة موظفين سابقين من شركة باييال (Pay Pal) هم: تشاد هيرلي، وستيف تشي، وجاويدكريم في كاليفورنيا.

النوع الرابع: مواقع الرأي والاستعراض: ومنها: (Productreviews) و yahoo answers, Ask.com.

النوع الخامس: المواقع الترفيهية الاجتماعية: وهي تتضمن مواقع العوالم الافتراضية ومواقع الألعاب.

آثار وسائل التواصل الاجتماعي على الفرد والمجتمع:

أولًا: آثارها الإيجابية (إيجابيات وسائل التواصل الاجتماعي): إن وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة أدتْ دورا بارزا ومهمًا في حياة الأفراد والمجتمعات في كثير من جوانب حياتهم: الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية والإعلامية والثقافية والأمنية والنفسية؛ وبالاختصار يذكر فيما يأتي أثرها الإيجابي في أهم مجالات حياة الفرد والمجتمع:

المجال الاجتماعي: فهذه الوسائل تساعد على استمرار التواصل بين المستخدمين على مدار الساعة؛ الأمر الذي يزيد في قوة الترابط بينهم، ومعرفة أخبارهم وتوطيد العلاقات من خلال تبادل التهاني بالمناسبات، والمواساة عند المصائب والملمات، وأداء الأعمال التطوعية والإنسانية المفيدة للمجتمع بيسر وسهولة [1].

وكذلك لها درو كبير في التأثير في سلوك أفراد المجتمع وإكسابهم قيما جديدة تشبع متطلبات العصر والمجتمع، وتساهم في التنمية المستدامة للأفراد والمجتمع روحيا ونفسيا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا [2].

---

[1] أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية المسؤولية المجتمعية لدى الشباب، ص١٠، موجود على الشبكة بصيغة pdf بدون غلاف.

[2] الإعلام الجديد وشبكات التواصل ..ص٣٥.

المجال السياسي: إن لهذه الوسائل دورا كبيرا في مجال السياسة؛ فهي موظفة من قبل أعضاء الأحزاب السياسية للدعاية، وحث الناس على التصويت، وكذلك تستعمل في استطلاع الرأي العام من المستخدمين لتصويت مرشح دون مرشح، كما حدث في أمريكا عام ٢٠٠٨م في الانتخابات الرئاسية؛حيث إن مجلة (ريدرز دايجست) تجري استطلاعا في الفيسبوك، والذي جاء فيه: باراك أوباما في المقدمة بنسبة ٦٣٪[1].

ومن وظائفها السياسية أيضا مناقشة المستخدمين همومهم المشتركة ومطالبهم من النظام الحاكم، وحشد الرأي العام خلف قضايا معينة للتأثير على متخذي القرار، كما حدث عام ٢٠١١م في الربيع العربي [2].

المجال الاقتصادي: لقد أصبحت هذه الوسائل نافذة اقتصادية؛ يستخدمهاالمؤهلون في البحث عن الوظائف،كما أنّ الشركات تستخدمهاالإعلان فرص العمل والوظائف الشاغرة لديها،والتعرفِ على رغبات المستهلكين، والبحث عن التنافس والأسواق المناسبة، والتسويقِ لمنتجاتها ودعاياتها، وخاصة أنها منخفضة التكلفة وسريعة الوصول إلى المستهلكين؛ وقد أثبتت الدراسات أنها أفضل أداة للتسويق والتسوق، وأن الفئة الكبيرة من الشباب يميلون إلى التسوق الإلكتروني عبر المواقع والتطبيقات أكثر من تجوالهم في الأسواق المعتادة والمحلات الثابتة [3].

المجال الديني: ليس بغائب عن أحدنا الدور الفاعل الذي يمكن أن تقوم به هذه الوسائل التكنولوجية في ساحة الدعوة، ونشر الثقافة الإسلامية في أرجاء العالم؛ حيث قررت الدراسات بأن هناك ١٩,٢٪ من مستخدميها يتابعون البرامج والمواضيع الإسلامية

---

[1] فضائح فيس بوك، ص٦٠- ٦٣.

[2] التوظيف السياسي لمواقع التواصل الاجتماعي، ص:٢ مقال للدكتورة رانيا مكرم، على موقع المركز الإقليمي للدراسات الإستراتيجية، القاهرة / http://www.rcssmideast.org/Article/٢٦٩٢.

[3] ينظر: الآثار الاجتماعية للإنترنت، ص٧٣٣، د.عبد المحسن بن أحمد العصيمي/ الناشر: قرطبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ.

دائما، ومنهم ٢٨,٩٪ يتابعونهاأحيانا١،ولذا قام بعض الدعاةبواسطتها بالذب عن العقيدة الإسلامية ومكافحة الأفكار المشككة فيها من أصحاب التيارات الفكرية المنحرفة، وكشف افتراءاتهم على الإسلام من كل جوانبه، وفي الدعوة إلى الإصلاح في جميع مجالات الحياة [٢].

المجال الإعلامي: إنّ لوسائل التواصل الاجتماعي دورا بارزا في الوظيفة الإخبارية والإعلامية بمختلف أنواعها، وهي وظيفة يتم عن طريق ربط الشخص المتابع للأخبار بالعالم الخارجي؛ بحيث يستطيع معرفة ما يدور في هذا العالم دون عائق من حدود أو مسافة أو اختلاف لغة [٣]، ويمكن له مناقشة هذه الأحداث وتحليلها وإضافة ما لديه من المستجدات إلى صفحته وصفحات الأصدقاء ؛وأنها تتسم بميزات لا يمكن تواجدها في الوسائل التقليدية؛ وأهمها إمكانية المشاركة، المعلومات التفصيلية [٤].

مجال الثقافة العامة والتعليم: تعتبر وسائل التواصل الاجتماعي من أهم الوسائط لتبادل المعلومات الثقافية، فهي أفضل الطرق للحفظ وأسرعها استرجاعا؛ إضافة إلى امتيازاته التفاعلية التي تساهم في مضاعفة الاستفادة منها. واليوم أصبحت هذه الوسائل والمواقع سوقا علميا وثقافيا يجمع شتات المعرفة بين أنامل المستخدم، مثل الموسوعات العلمية، والتواصل بين الباحثين والمشرفين والأساتذة، ومن أهم السمات التي تتصف بها في هذا المجال سرعة الحصول على المعلومة، وقلة التعب والتكاليف وغيرها من المزايا، ولذا يكثر الإقبال عليها من قبل المؤسسات التعليمية والتربوية لتوصيل المعرفة إلى المتعلم وتحفيزه على البحث والتنقيب.

---

[١] ينظر: الآثار الاجتماعية للإنترنت ص٥٩٠- ٥٩١.

[٢] ينظر: الإعلام الجديد(شبكات التواصل الاجتماعي)، ص٣٦.

[٣] الإعلام الجديد (شبكات التواصل الاجتماعي)، ص١٤.

[٤] الآثار الاجتماعية للإنترنت ص:٥٧٢.

المجال الأمني: ولهذه الوسائل دور ملاحظ في استقرار أمن الدولة والمجتمع والفرد، فهي كما توفر الإرشادات ولوائح العمل لرجال الأمن في مختلف القطاعات الرسمية بأقصى سرعة، تقوم أيضا بتقريب المسافات بين الإعلام والأمن، وبتقديم النصح للمجتمع لحماية الأرواح والممتلكات العامة والخاصة [١]، حتى أنهاأصبحت أداة إيجابية رفيعة المستوى والمعنوية في نشر التوعية المرورية والأمنية والصحية، والتحذير من الفوضويات والضوضاءات الهادفة للأمن، ومراقبة الحسابات التي تضر استقرار الدولة والمجتمع.

ثانيا: آثارها السلبية على الفرد والمجتمع:

لقد اتضح مما سبق أن هذه الوسائل الحديثة للتواصل لها العديد من الثمرات والفوائد على الفرد والمجتمع في كل جانب من جوانب الحياة، بشرط أن تستخدم هذه الوسائل استخداما إيجابيا، أما إن كان استخدامنا لها مخالفاً لما هي له، وبشكل سلبي وعشوائي، فتعود كارثة ومهلكة على الفرد والمجتمع بأسره؛ وفيما يأتي ذكر بعض الجوانب والآثار السلبية لهذه الوسائل:

الجانب العقدي والديني والأخلاقي: لا يخفى علينا ما ينشر في هذه الوسائل من قبل بعض المغربين والليبراليين والعلمانيين والمستشرقين من الشبهات حول العقيدة السمحة، ومن الأوهام الفكرية المنحرفة الضالة، لتضليل الشباب المسلمين، وقد لُوحظ أثر ذلك على كثير من الشباب المسلمين من تفاخرهم بالإلحاد في كتاباتهم وتغريداتهم، وشتم العلماء والخروج على ولاة الأمر،والتسلل لأماكن الفتن والحروب [٢]، ولحاقهم بتنظيم "داعش" في سوريا، أقرب وأبرز مثال على ذلك.

---

[١] دور وسائل الإعلام الحديثة في التوعية ومواجهة الأزمات الأمنية د. وجدي حلمي عيد عبد الظاهر/ ص١، منشور على موقع جامعة أم القرى.

[٢] ينظر: (مواقع التواصل الاجتماعية ... بين الإيجابيات والسلبيات) أبو عبدالعزيز سليمان بن صالح المطرودي، نشر في ٢٠١٤/٤/٧م على مدونته.

وكذلك أصبحت مسرحًا فسيحًا لنشر الإشاعات والأخبار الكاذبة، والهجمات الشرسة لتشويه سمعة الإسلام تحت شعارات براقة باسم الحرية والحقوق المسلوبة، وخاصة حقوق المرأة، والمساواة. وأيضا إن هذه الوسائل مزّقت أقنعة حاجز التواصل بين الشباب والفتيات؛ مما أدى إلى التحرش والاغتصاب وانتشار الزنا والفواحش.

الجانب الأسري والاجتماعي: فكما أنها تساعد على توطيد العلاقات، فقد تكون أحيانا سببا لإحداث مشاكل تؤدي إلى قطع العلاقات بين الأصدقاء، وفتك لحمة العلاقة الشرعية بين الزوجين،وهذا يحدث كثيرا على صفحات الفيس بوك، وعلى مجموعات "الواتس آب" و "الإنستغرام"، ولعل هذين التطبيقين من أخطر برامج مواقع التواصل الاجتماعي على الأسرة والمجتمع، وقد كشفت نتائج دراسات أن ثلث حالات الطلاق التي وقعت في بريطانيا عام ٢٠١١م كانت بسبب التواصل مع الأجنبيات عبر الفيس بوك [١].

ويُرى أثره على الانقطاع الأسري أيضا؛ حيث يجلس كل عضو من أعضاء الأسرة منقطعا عن غيره منشغلا بجهازه الذكي في الدردشة وتصفح المواقع، فكأنّ هذه الوسائل تحولت من وظيفة الاتصال إلى وسيلة الانفصال.

الجانب الصحي: (ويشمل الصحة النفسية والصحة البدنية)؛ فقد خلقت هذه الوسائل بيئة حاضنة للأمراض النفسية والانطواء على الذات، أو بين أفراد معينين، رغم فساحة هذا العالم وتلك التقنية؛ ويشعر المستخدم بالقلق والاضطراب الكدر والكآبة [٢].

وقد سببت كثرة الاستعمال لهذه الوسائل بمختلف أنواعها أمراضا جسدية مختلفة لدى الشباب والأطفال؛ ولكن الأطفال هم أكثر عرضة لهاومن الأمراض التي

---

[١] الإعلام الجديد (شبكات التواصل الاجتماعي)، ص٧٠.

[٢] الإدمان على الإنترنت، ص:٣٩.

يسببها الاستعمال السيء لها: ضعف البصر، ومرض السكر والسمنة بسبب قلة حركات البدن، ويسبب الإرهاق والأرق الذي يؤدي إلى التعطل الفكري [١].

الجانب الثقافي والتعليمي: وقد يترتب على الاستعمال العشوائي وغير الجاد لهذه الوسائل انهيار ثقافة المستخدم، حيث إنه يتأثر بكثير من العادات والتقاليد الوافدة الغربية المنافية للثقافة الإسلاميةالتي تنشر على صفحات هذه الوسائل، وتغير كثيرا من جوانب حياته، وكذلك تضعف لغة المستخدم الذي يدردش مع أصدقائه الذين يستعملون اختصارات وأساليب وتعبيرات مختلفة تماما عن قواعد اللغة (العربية)، و لا شيء أهم من اللغة في ثقافة الإنسان؛ فإذا اندثرت ذهب كل شيء يحتفي به من الثقافة والمعرفة لأنها وعاء هذه الأفكار والمعارف.

وبجانب ذلك ما نراه اليوم من استفحال ظاهرة التأخر عن المواعد الدراسية والاختبارية بسبب الاستخدام العشوائي لها، ما يؤدي إلى الفشل في الدراسة والإخفاق في الاختبارات، وبالتالي ينحط المعدل [٢].

الجانب الاقتصادي والمهني: لا يخفى علينا ما يهدر من الأموال على هذه الوسائل الشبكية وللاشتراك بها على مختلف أجهزة الاتصال، وفي التسوق الإلكتروني عبر مواقع التسويق الخادعة بالإعلانات المفخمة الكاذبة.

ولا ينحصر ضررها على المستخدم في إضاعة المال فقط، بل يتعدى إلى حياته المستقبلية، فعندما يبحث عن وظيفة أو عمل لا يجد ما يرضيه؛ لأنه قد شارك بكل خصوصياته ومنها ما يجب حجبها عن الناس من عاداته وطبائعه، كما أظهرت الدراسات أن ٥٤٪ من المشاركات توضح الضعف اللغوى للمستخدمين، و ٦١٪ منها

---

[١] بحث لديليالا فالكون "Negative Effects Of Social Media On Your Health" نشر في ٢٠١٣/٢/١٠م على موقع: www.symptomfind.com.

[٢] موقع الرياض. كوم الإلكتروني ، ٢٠١٣/٩/١١م.

تظهر الألفاظ غير اللائقة لهم بالإضافة إلى المحتويات الأخرى التى تعتبرخارجة ويرفضها أرباب العمل [١].

هذا ما يتعلق بالمستخدم نفسه، أما من حيث المجتمع وبيئة العمل، فهو أشد من هذا؛ إذا أن الاستخدام الخاطئ لها قد يؤدي إلى خسارة كبيرة لأصحاب الأعمال والشركات والمنظمات المالية الربحية وذلك بسسب تضييع موظفيهما وعمالها أوقاتهم في استخدام هذه الوسائل وقت العمل والدوام، كما أثبتت إحصائية أن الشركات الأميركية تخسر ١٧٥ مليون دولار يومياً مقابل ساعات العمل التي يضيعها موظفوها [٢].

الجانب الأمني: قد تكون وسائل التواصل الاجتماعي خطرا على صاحبها وغيره؛ إذ يلاحظ أن كثيرا من الناس قتلتْهم متابعة الواتسب والتويتر والإنستغرام أثناء قيادة السيارات في الشوارع، فكم من أطفال أصبحوا يتامى وكم من نساء صرن أرامل بسبب انشغال هؤلا ء الناس بالجهاز عن القيادة.

وقد تهدد هذه الوسائل أمن صاحبها وسلامته؛ لأنه فقدَ الخصوصية عندما شارك بملفاته الشخصية لعرض جميع بياناته من عنوان السكن والجامعة والوظيفة والحالة الاجتماعية، ومن الممكن أن يستغل بعض المحتالين هذه المعلومات لمنافعهم الذاتية، لأن هذه المواقع والوسائل الإلكترونية ليست قطعية الأمان والسر، كما يوجد أن بعض المواقع الاجتماعية تشير إلى ذلك عند التعليق والمشاركة، مثل تصريح موقع الفيس بوك عن سياسة السرية الرسمية عند المشاركة والتعليق: أن الموقع ليس مأمونًا من الاختراق على وجه التمام [٣].

---

[١] المرجع السابق.

[٢] احترس .. فيس بوك من أسباب ضياع الوقت، مقال نشر يوم ٢٠١٤/٥/١٦م على موقع الوطن.كوم.

[٣] فيسبوك للجميع، ألين أوليغ عوكي، ص٦٥/ بيروت ، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

وقد تكون سببا في انهيار أمن المجتمع بل والدول وسياسات الحكومات كلها؛ إذ تقع حسابات بعض الحكومات والأحزاب السياسية ضحية للأعداء، كما نشرت صحية(فاينانشيال تايمز) أن أكثر من مئة دولة تستخدم هذه المواقع للتجسس ومعرفة نقاط القوة والضعف لخصومها، وفيها أن مواقع وزارة الدفاع الأمريكية تعرضت للقنص ،وكذلك تم اختراق أنظمة الحاسوب الحكومية في أستراليا ونيوزيلندا والهند من قبل الهاكرز [(١)].

مقترحات لتعزيز الآثار الإيجابية، وتقليص سلبياتها (ما يجب التزامها على المستخدم):

- تأمين الحساب والصفحة على الويب من الدخول غير المسموح والاختراق، والتأكد من شخصية من يريدإضافته إلى قائمة الأصدقاء، والانتباه الكامل في نشر البيانات الشخصية – لا يزود ملفه برقم الجوال.
- التقيد بالقيم الدينية أثناء استخدام هذه الوسائل،الاستخدام العقلاني لوسائل الاتصال.
- احترام الآخرين،والانتباه الكامل عند التعليق على مستخدم آخر؛ حتى لا يسيء إليه ذلك التعليق.
- العلم بأن التعليقات والتغريدات والمشاركات سوف تبقى طويلة على الشبكة في الغالب.
- الاحتياط في وضع الصور والمشاركات على المواقع؛ لأن هناك بعض المواقع مفتوحة للجميع [(٢)].
- عدم مقابلة شخص أجنبي جرى معه الكلام على الإنترنت في خلوة.

وما يجب على الهيئات والمنظمات تعاطيها:

- العمل على التوعية بأهمية وسائل التواصل الاجتماعي، والتعريف بالمستويات الاجتماعية المتباينة، وأهمية التعبير عن الأفكار والآراء الشخصية بحدود الأدب

---

(١) فضائح فيس بوك، ص٢٤٣- ٢٤٥.

(٢) The Social and Psychological Impact of Online Social Networking ص٤، ليز تومس وباول ريفير/ أستراليا، ٢٠١٠م.

والذوق العام واحترام الآخر، وثقافة الحوار والتفاعل مع القضايا والأحداث بشكل إيجابي.

- إثراء الحوارات الهادفة، من خلال الأطروحات التي يتم تداولها ونقاشها بأسلوب علمي وحضاري لسد الباب أمام أصحاب الفكر المنحرف ثقافيًا وأخلاقيًا وسياسيًا، ممن يسعون لنشر فسادهم وحثالة أفكارهم والتغريربالشباب عبرتلك المواقع.
- عرض تجارب الآخرين الذين تعرضوا للأذى عن طريق هذه الأجهزة التكنولوجية
- ترسيخ كل معاني الإنسانية وطرق الحفاظ على حرارة العلاقات الاجتماعية والأسرية وعلى الوقت.
- عدم الاعتماد على الإعلام بنسبة كبيرة في تربية الأبناء،والتوعية بالمرحلة العمرية للمستخدمين.
- الرقابة الأسرية، والرقابة من الجهات المزودة للخدمة، والجهات الرسمية بضبط تلك المواقع من الناحية الفنية والتقنية من الفوضى العارمة التي تعيشها، وتفعيل قوانين ردع صارمة، وآليات تقنين نافذة.

هذه كانت إشارة خفيفة بمثابة نبراس ضئيل في طريق وعرة لبعض النواحي المهمة ذات علاقة بوسائل التواصل الاجتماعي، ومحاولةلتقديم بعض الحلول التي استخلصتها بعد تصفح أوراق كثيرة مطبوعة وإلكترونية، وهي –بالجملة - آراء قد تعبر عن رؤيتي تجاه هذه الوسائل، ولكم ما ترون في هذا الصدد.

وختاما أسأل الله عز وجل أن يوفقنا للاستخدام الإيجابي لهذه الوسائل، وأن يجنبنا من كيد الشيطان، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

❖❖❖

الطريق إلى الإقلاع عن التدخين

أبو الحسن بن محمد الفقيه

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد :

فإن ظاهرة التدخين من الظواهر التي انتشرت بين الأفراد والمجتمعات، واجتاحت الديار والتجمعات الدانيات والنائيات، فتهافت عليها الكبار ولم ينج منها الصغار، بل ولا النساء في كثير من الأقطار.

وهذا الداء قد عظم بلاؤه واستعصى دواؤه، فاستفاض في الأخبار ضرره القاتل في سائر الأمصار، واشتهر في الأنباء خبثه في سائر الأرجاء، ولم يزل الأطباء يذكرون سمه وخطره، وقبحه وضرره، ويبينون للعالم أثره، وما يخلفه من ورائه من أمراض وأدواء وعلل يستعصي معها الشفاء وما لا يعلمه إلا الله من أنواع السقام والبلاء ..

ولما كانت أغلب الكتب التي تتناول قضية التدخين تتطرق إلى بيان أثره وضرره وتعرج على شدة خطره، فقد اخترت أن يكون موضوع هذا المقال معالجا لمشكلة التدخين ذاتها ، مبديا أسبابها ، وحلولها المادية والمعنوية .... والله من وراء القصد.

لنبدأ بتشخيص داء التدخين:

التدخين يسبب أمراضا كثيرة في جسم الإنسان: أمراض الرئة والقلب والسرطان وغيرها .. كما أنه سلوك مؤذ للمحيط الاجتماعي والبيئي للإنسان .. وهذا كله كثر الكلام عنه وألفت فيه مئات بل آلاف المقالات والكتب، ولسنا عن هذا نتكلم!

وإنما كلامنا في هذا المقام هو تشخيص ظاهرة التدخين ذاتها وتصنيفها من حيث ارتباطها بالأمراض النفسية، والكمال العقلي والخلقي للإنسان! أما آثارها المرضية فلم تعد تخفى على أحد !!

فما حقيقة ظاهرة "التدخين"؟ وما هي أسبابه ودوافعه؟

١ – حقيقة ظاهرة التدخين:

أخي الكريم ..

هناك أمور ينبغي أن نتفق عليها قبل بيان حقيقة هذه الظاهرة.

الأمر الأول: هو أن ضعف الشخصية المتمثل في الانقيادالخاطئ لقرارت الآخرين وتصرفاتهم يعتبر عند الأطباء حالة مرضية لها أسباب ترتبط في الغالب بسوء الحالة النفسية ومرضها نتيجة عوامل عديدة مثل: طبيعة التربية والنمو وطبيعة الوسط الاجتماعي الذي يعيشه الإنسان منذ ولادته وغيرها من الأسباب.

والأمر الثاني: هو أن الوهم من الأمراض النفسية أيضا وهو أنواع وأشكال متفاوتة.

والأمر الثالث: هو أن الجهل ظاهرة تحيد بأصحابها عن الكمال العقلي والخلقي، وتسوقهم إلى دوامة التخلف والتقهقر، فهو من أخطر الأمراض الإنسانية والاجتماعية.

وإذا تأملنا في هذه الأمور الثلاثة وجدناها العوامل الرئيسة، في وجود ظاهرة التدخين في سائر الحالات وكافة الظروف. فالمدخن لا يخلو سبب شروعه في التدخين من ثلاثة أمور:

الأول: أن يدخن مجاراة وتقليدا لأصحابه أو أقربائه أو آبائه أو من يعجب بشخصياتهم وإنجازاتهم، أو خجلا من الانفراد عن عامة رفقائه من المدخنين بالامتناع عن التدخين، أو طمعا في اكتساب هيبة تضفي عليه سمة الشخصية والتحدي.

وهذه الحالات كلها تندرج تحت مرض نفسي يسكن في أعماق المدخن وهو ضعف الشخصية، وهذا المرض لا يشعر به المدخن في الغالب، لذلك فهو يقدم على

التدخين دون أن يسأل نفسه أو يعيب حاله، وإذا شعر به في لحظة من لحظات صفائه، فإن يصبح مع نفسه في حالة حوار داخلي .... وصراع نفسي تتفاوت فيه الغلبة.

فمرة يقنع نفسه بضرورة التجرد في اتخاذ القرارات الشخصية دون التأثر بالقرارات الخاطئة عند الآخرين، ومن ثم يوطن نفسه على مواجهة تبعات موقفه أيا كان شأنها.

ومرة ... ينساق مع مرضه الدفين ويتجاهل إحساسه بالنقص، وما يولده في نفسه من شدة وبأس.

الثاني: أن يكون المدخن متوهما في التدخين حلولا لمشكلاته النفسية، وشفاء لاضطراباته وانزعاجاته، فتجده مقبلا على هذه الظاهرة الذميمة كلما اضطربت نفسه، أو تبلد حسه، أو تحرك بأسه!

والوهم سلوك نفسي خاطئ ينبي عن خلخلة في التصرفات النفسية التي تساعد في حالتها الطبيعية على إعطاء المعايير الصائبة لجميع الظواهر، وتبين دوافعها ونتائجها الصحيحة، فإذا ما اختلت تلك التصرفات النفسية نتج عن ذلك الوهم والوسواس ..

فالوهم يصور الأمور على غير حقيقتها ! والوسواس يشكك في نتائجها !

والمدخن إن لم يكن جاهلا ولا ضعيفا في شخصيته، فهو متوهم في التدخين نفعه، وموسوسا في نفع تركه !

الثالث: أن يكون المدخن قويا في شخصيته، بعيدا عن مرض الوهم والوسواس ولكنه جاهل بأضرار التدخين، فتراه يقدم على شرب الدخان عبثا وسدى حتى يصير من المدخنين.

فهذه الأسباب تمثل في الجملة العوامل الرئيسة التي تدفع الإنسان إلى شرب الدخان في البدء، ولكنه حينما يستمر، يبتلي به ويصبح مدمنا! ووقتئذ يصبح سبب إقباله على التدخين: الإدمان، فإن حاول التخلص من تلك الظاهرة استعصى عليه الأمر ... لا لأنه جاهل، وضعيف الشخصية أو متوهم فقط، ولكن لأنه أصبح من المدمنين أيضا!!

ومن هذه المقدمة العريضة، يظهر أن ظاهرة التدخين في أصلها مرض نفسي أو اجتماعي محض، ومن هذا المرض يتولد مرض عضوي جديد يمسى الإدمان ومن هذا التشخيص أيضا نستطيع رسم المعالم الرئيسة لعلاج التدخين، وذلك بطريقتين:

الأولى: إيجاد العلاج النفسي.

الثانية: إيجاد العلاج العضوي.

فكيف ذلك؟

كيف تقلع عن التدخين

١ – التدخين داء ولكل داء دواء:

فاقتناع المدخن بكون التدخين حالة مرضية، ثم اقتناعه بأن لكل مرض دواء يقتضي البحث عنه والعلم به، هو أول خطوة في طريق الإقلاع عن التدخين.

وقد قال صلى الله عليه وسلم: "ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله إلا السأم".

ولقد ثبت بالتجربة المعاينة إقلاع كثير من المدخنين عن هذه الظاهرة المرضية، ولكن وسائل الإقلاع تتفاوت بحسب الأشخاص وعزائمهم، وتفاوت هممهم، واتخاذ الأسباب في ذلك، ولذا فإننا سنعرض في هذا الفصل مختلف الوسائل التي يتيسر بها بإذن الله الابتعاد عن التدخين، وإن كان يكفي الكثير من الناس بعضها.

فما هي هذه الوسائل؟

١ – العلاج النفسي:

والعلاج النفسي يتضمن تجاوز عوامل التدخين الثلاثة:

الأول: تجاوز الإحساس بالنقص والضعف أمام الآخرين.

الثاني: تجاوز الوهم والتصور الفاسد للأشياء ونتاجها.

الثالث: تجاوز الجهل وما ينتجه من أضرار حسية ومعنوية في الدنيا والآخرة.

١ – علاج ضعف الشخصية والتقليد:

فالمدخن حينما يدرك آثار التدخين وأضراره الخطيرة، يوقن أنه قد تورط في هذا الداء عن طريق سلوك خاطئ، فإذا كان هذا السلوك هو تقليده الأعمى للآخرين سواء من الأقارب أو الأباعد، أو ضعف موقفه أمام أصدقائه ورفاقه، فلابد أن يقنع نفسه

بضرورة التخلص من هذا النوع من السلوك، لأنه قد يجر عليه مهالك في حياته في جوانب غير التدخين، فكيف يتخلص الإنسان من ضعف الشخصية؟

كن صاحب عقيدة تقوى شخصيتك:

فصاحب العقيدة منضبط في مواقفه على اختلاف أنواعها بالمبادئ السليمة في الحياة وملزم بمقتضى تلك العقيدة باتخاذ ما تمليه عليه من الأوامر واتباعها، كما أنه ملزم باجتناب ما تنهاه عنه من مضرات الأمور .. فهو مبدئي في حياته على كل حال!!

فالمسلم القوي في إيمانه وعقيدته يرسم حياته على أساس الطاعة المطلقة لله وحده ولرسوله صلى الله عليه وسلم ثم يوطن نفسه على العمل بتلك الطاعة كما يوطنها أيضا على الرجوع إلى الله متى ما حاد عن خط الطاعة والاستقامة.

وبهذا تكون مواقفه مستقلة عن الآخرين، نعم هي تلتقي مع مواقف الآخرين في مطلق طاعة الله وحده، ولكن انسياقها في تلك اللحظة يكون لله أصلا، فالإقبال على التدخين موقف!! وصاحب العقيدة لا تسمح له مبادؤه بالإقبال على هذا الموقف حتى يقيسه بمقياس دينه ومبادئه دون أن يلتفت إلى المقبلين على التدخين، قلة كانوا أم كثرة، من شرفاء الناس أم من أراذلهم .. من الأقرباء أو الأباعد.

فهو يدرك أنه وحده المسؤول عن تصرفاته وأعماله، وأن القلة والكثرة ليست دليلا على الحق! وهذا المبدأ تدل عليه نصوص كثيرة في الكتاب والسنة، بل كل نصوص الوحي تدور حول تقريره وتحريره، قال تعالى: {فلا تخشوا الناس واخشون} (المائدة:٤٤).

وقال سبحانه: {اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون} (الأعراف:٣) وقال تعالى: {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم} (الأحزاب:٣٦) وقال تعالى: {وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا} (الأحزاب).

فخشية الناس في اتخاذ المواقف دون خشية الله، واتباعهم دون اتباع الحق، واتخاذ المواقف المخالفة لأمر الله، وطاعة السادة والكبراء والعظماء في معصية الله،

كلها من مهلكات الإيمان وتضعيف العقيدة، وهذا ليس في قضية التدخين خاصة بل في حياة المسلم عامة.

فإذا اعتادت نفس المسلم هذا السلوك، صار فوضويا في حياته يتخبط خبط عشواء في تصرفاته .. ويسوق نفسه بذلك إلى هلاك الدنيا وعذاب الآخرة!!

فصاحب العقيدة يدرك تحريم "التدخين" شرعا!! ويعلم ضرره وخطره عقلا!! فأما تحريمه، فيدل عليه:

١ – قوله صلى الله عليه وسلم: "لا ضرر ولا ضرار" [١] فالحديث نص في تحريم ما يلحق الضرر بالنفس أو يضر بالغير.

ولا شك أن الدخان كله أضرار بإجماع العلماء والأطباء وصانعي "التبغ" أنفسهم من الكفار والمشركين والمسلمين على السواء في سائر الأقطار والأمصار!

وأضراره: صحية واقتصادية.

فأما الصحية: فلأنه سبب مباشر في سرطان الرئة وأمراض القلب والشرايين، وسبب في سرطان المعدة للمصابين بحالات القرحة المعدية. وسبب لكثير من الأمراض الباطنة، وسبب لأمراض الجهاز البولي. [٢]

وأما الاقتصادية: فلأنه إسراف وتبذير لا نفع من ورائه.

٢ – قوله تعالى: {ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما} (النساء:٢٩).

ولا شك أن شرب السم قتل للنفس، وقد صنف الكيميائيون كثيرا من مكونات التدخين في المواد السامة، ومن ذلك:

---

[١] رواه ابن ماجه وأحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٣٥).

[٢] انظر كتاب (رسالة إلى مدخن) لإبراهيم المحمود، وكتاب (لماذا تدخن) لمحمد بن ابراهيم الحمد وكتاب (حكم الدين في اللحية والتدخين) لعلي حسن علي عبد الحميد، وقد تضمنت هذه الكتب ذكر تفاصيل تأثير الدخان على الجسم، وتحاشينا في هذا الكتاب الإطالة في هذه الجزئية، لأن معظم الناس لا يجهلون تأثير الدخان على الصحة، بل إن الشركات المصنعة أصبحت تكتب على واجهة علب الدخان العبارة الواضحة التالية: تحذير صحي: التدخين سبب رئيسي لسرطان وأمراض الرئة وأمراض القلب والشرايين. وذهبت دولة (كندا) مؤخرا إلى أبعد من ذلك حيث ألزمت الشركات المصنعة للتبغ بوضع صور (تشوه الرئتين) بسبب التدخين على واجهة العلبة.

النيكوتين: وهو عنصر سام تكفي حقنة منه تزن (٥٠) مليغرام لقتل إنسان سليم!!

الزرنيخ: وهي مادة تدخل في تركيبات المبيدات الحشرية، فأصبح الإنسان وللأسف يبيد نفسه بيده.

القطران: وهي أخطر من بعض أنواع السم وخطرها يكمن في القضاء على شرايين الرئة وإغلاقها ومنع التنفس، وكم من مدخن مات مختنقا بسببها!!

الرصاص – وأول أكسيد الفحم (الكربون): وهما مادتان سامتان.

البنزوبيرين: وهما من أخطر أسباب السرطان.

وغيرهما من المواد الضارة الخطيرة على صحة الجسم وحياة الإنسان.

٣ – قوله تعالى: {ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة} (البقرة:١٩٥). ولا شك أن التدخين "تهلكة" لما سبق بيانه.

٤ – قول الله جل وعلا في وصف نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم: {يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث} (الأعراف:١٥٧) فهذه الآية عامة في تحريم كل خبيث، وقد تقرر فيما تقدم أن الدخان من الخبائث.

٥ – اتفاق العلماء الربانيين المعتبرين من جميع المذاهب على تحريمه وضرره!!

وبهذه الأدلة يكون التدخين حراما شرعا وعقلا!!

ومن ضعف إيمانه .. ضعف موقفه في اجتناب الحرام عامة ومنه التدخين .. ولو فعله من فعله .. وأقبل عليه من أقبل.

ومن هنا فإن قوة العقيدة وصفاء الإيمان هو الطريق الأم إلى علاج ضعف الشخصية والانهزام النفسي أمام المؤثرات الخارجية أيا كان نوعها.

(يتبع)

❖❖❖

تعريف بالكتب

سلسلة كتب مدرسية لتعليم اللغة العربية

أصبحت العناية باللغات العالمية ميزة العالم المتحضر الذي تلاشت فيه الحدود والحواجز بين البلدان وبين الثقافات، وتقلصت المسافات بين الأفراد والشعوب بسبب وسائل الاتصال الحديثة. ومن حسن حظ اللغة العربية أنها – بسبب انتشارها الواسع وكثرة الناطقين بها – أصبحت تعد من اللغات العالمية التي تستقطب أنظار المتعلمين والباحثين. وبما أنها لغة القرآن الكريم ولغة سيد الأنبياء والمرسلين وصحابته الغر الميامين فإنها حظيت بعناية واهتمام كل المسلمين في العالم. فهم يعدون العناية بها مظهرا من مظاهر الانتماء إلى دينهم وعقيدتهم. والمسلمون في الهند قد ضربوا أروع الأمثلة في العناية بلغة كتاب الله عبر تاريخهم المشرق، ولله الحمد. والآن حينما يبذل أهل كل لغة حية جهدهم لخدمتها ونشرها ويبحثون عن الوسائل الكفيلة بذلك فإن أصحاب اللغة العربية من العرب خاصة والمسلمين عامة لم يدخروا جهدا في الرقي بهذه اللغة وتسهيل نشرها وتعميمها ما أمكن.

وقد طرأت تغيرات كثيرة على طرق تدريس اللغات، بعد البحوث والدراسات والتجارب التي أجراها المختصون، فوصلوا إلى أصول وقواعد هي أكثر مرونة وأجدى نفعا من سابقتها. وقد استفاد المهتمون باللغة العربية من هذه البحوث والتجارب ومن هذه الطرق والقواعد في تقريب اللغة العربية إلى أفهام المتعلمين وتسهيل قواعدها عليهم.

والطريقة السائدة لتدريس اللغة العربية في معظم البلدان الإسلامية كانت متشابهة متماثلة إلى حدما، مع بعض الفروق والاختلافات التي تفرضها الأوضاع المحلية لكل بلد، وهي المعروفة بطريقة القواعد والترجمة، وقد سجل الباحثون على هذه الطريقة ملاحظات عديدة، ووجهوا إليها سهام النقد، وعددوا سلبياتها، وقدموا لها بدائل متعددة أكثر إيجابية وفاعلية منها. فسارع إليها المسارعون،ورحبوا بها، وجعلوا يجربونها ويطبقونها في معاهدهم وفصولهم، وفي مؤلفاتهم وبحوثهم.

ومجموعة الكتب المدرسية التي نحن بصدد الحديث عنها نموذج حي من هذا النوع من المجهودات، وقام بإعدادها الأخوان الكريمان: شميم أحمد عبد الغفار ومحفوظ الرحمن حفيظ الله، من المدرسة المتحدة العامة بشنائ في جنوب الهند. والمجموعة عبارة عن سلسلتين من الكتب:

الأولى: باسم "تعلّم اللغة العربية" والثانية: باسم "تعلّم الكتابة".

وقد وصلت إلينا من السلسلة الأولى أربعة أجزاء. الجزء الأول للحضانة، والثاني لروضة الأطفال السفلى، والثالث لروضة الأطفال العليا، والرابع للصف الأول، وبقية الأجزاء في طريقها إلى الإعداد والإخراج.

أما السلسلة الثانية التي هي باسم: "تعلّم الكتابة" فالموجود منها أمامنا خمسة أجزاء، غير مصرحة بالمراحل الدراسية التي يختص بها كل جزء منها.

وقد بذل المؤلفان جهدا مشكورا في ترتيب المحتويات وفق المعايير العلمية الحديثة، فقدما – مثلا – الحروف العربية للأطفال مصحوبة بالكلمات، لا معزولة عنها، وكذلك مصحوبة بالصور والأشكال، مع مراعاة التدرج والمرحلية في عرض المادة، والالتزام بعرض الأسئلة والتمرينات العملية، ليتفاعل الطلاب والطالبات مع المادة ومحتوياتها بشوق ورغبة، ويجدوا فيها متعة تبعثهم على التقدم نحو الأمام في تعلم هذه اللغة.

وكذلك الأمر في سلسلة الكتب المتعلقة بتعليم الكتابة، فعند تمرين كتابة الحروف لم يقدم الحرف مفردا معزولا عن الكلمة. وإنما تم تقديم كل حرف مندرجا في كلمة، مع تمييزه باللون الخاص ليلفت انتباه الدارس، فيركز عنايته عليه، فبهذه الطريقة هو يتعلم طريقة كتابة حرف معين، وفي الوقت نفسه يتعرف على تلك الكلمة التي كان هذا الحرف جزءا منها مع الاطلاع على معناها بمساعدة الصور المصحوبة.

فبهذه الطريقة التي سلكها المؤلفان يتعلم الدارس اللغة العربية نطقا واستماعا وقراءة وكتابة، وهذه هي المهارات الأربع للغة، يركز المختصون على تقديمها للدارسين مع مراعاة ألا يطغى جانب على آخر، أو أن يتم التركيز على بعض الجوانب

مع التضحية بالجوانب الأخرى، كما هو الحال في طريقة التدريس التقليدية. فالنقد اللاذع الذي يوجه إلى الطريقة القديمة لتعليم اللغة العربية في معاهدنا الإسلامية هو أن هذه الطريقة تركز على مهارتي القراءة والكتابة وتهمل مهارتي الاستماع والتحدث، فيتخرج الطالب – بعد ما أمضى نحو ثماني سنوات أو أكثر مع هذه اللغة – ضعيفا في الفهم والاستماع وفي النطق والتحدث بهذه اللغة.

وقد رفع كاتب هذه السطور صوته ضد هذه الظاهرة قبل نحو عقدين من الزمن – ولا يزال يرفعه – في بحوثه ومحاضراته ولقاءاته. ونحمد الله أن الوضع بدأ يتغير، وتبذل الجهود لإعادة الحيوية والنشاط إلى لغة القرآن والسنة، ولتقريب فهمها على الدارسين. وهذه المجموعة خير مثال على ذلك.

ونحن إن نسجل هذه الأسطر في التعريف بهذه المجموعة لقراء المجلة نقدم تقديرنا وتهنئتنا للأستاذين الفاضلين على إنجاز هذا العمل الجليل وإخراجه في الحلة القشيبة، ونرجو أن المهتمين باللغة العربية في بلادنا يستفيدون من هذا الجهد ويقدرونه حق قدره، وتلقى هذه الكتب سبيلا إلى المناهج الدراسية في المعاهد والمدارس. والله هو الموفق، والهادي إلى سواء السبيل.

(أسعد أعظمي)

الاختبار السنوي في الجامعة السلفية

يبدأ الاختبار السنوي في الجامعة السلفية بنارس من يوم السبت: ٢٦ / ٧ / ١٤٣٦ هـ = ١٦ / ٥ / ٢٠١٥م، ويستمر إلى يوم الخميس: ٨ / ٨ / ١٤٣٦ هـ = ٢٨ / ٥ / ٢٠١٥م بإذن الله تعالى.

ويبدأ العام الدراسي الجديد (٣٧ – ١٤٣٦ هـ = ١٦ – ٢٠١٥م) في يوم الاثنين: ٩ / ١٠ / ١٤٣٦ هـ = ٢٧ / ٧ / ٢٠١٥ م. ويعقد اختبار القبول في يوم الثلاثاء: ١٠ / ١٠ / ١٤٣٦ هـ = ٢٨ / ٧ / ٢٠١٥ م بمشيئة الله تعالى.